مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الامتزاج المكاني في رواية (الفسيفسائي) للروائي المغربي عيسى ناصري "التشكيل والتوظيف" من الرؤية إلى الدلالة

د. صابر عكاشة قليعي علي
مدرس البلاغة والنقد الأدبي
كلية الآداب – جامعة العريش

DOI: 10.21608/qarts.2025.400503.2261

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٤) العدد (٦٩) أكتوبر ٢٠٢٥
الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X
الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X
موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الامتزاج المكاني في رواية (الفسيفسائي) للروائي المغربي عيسى ناصري "التشكيل والتوظيف" من الرؤية إلى الدلالة

الملخص:

يحاول هذا البحث إبراز المعالم الجمالية والفنية والإبداعية لتشـــكيل وتوظيف المكان في النص الروائي "الفسيفسائي" للروائي المغربي عيسى ناصري، من خلال تتبع الأمكنة المختلفة في النص الروائي، ودورها الفعال في بناء الرواية، وعلاقتها بالعتبات المختلفة فيها، والتي أســـهمت مع العناصـــر الروائية الأخرى في تحليل النص وفك شفراته، عبر مطاردات نقدية تحاول قنص المعنى الروائي، وتعقب الأثر الأدبي للأمكنة المختلفة من خلال التشـــكيل والتوظيف الفني لها لإنتاج الدلالة، ومن ثَمَّ إعادة إنتاج النص الروائي، وإبراز معالمه الجمالية والفنية، من خلال تتبع هذه المسارات.

يتميز النص الروائي الذي نحن بصـدده، بحضـور مكاني لافت للنظر ومؤثر في ســير الأحداث الروائية بصـــورة شـــائقة من ناحية، ومن ناحية أخري إســـهامه في الحبكة الفنية للنص الروائي، حيث تتميز الرواية بتفكك الأزمنة، حين يلجأ الراوي إلي تقنية وصف الأماكن والمواقع الأثرية وغيرها في تعطيل للزمن الذي تستغرقه الأحداث، فهناك مكان واحد تدور في فلكه أماكن متعددة في أزمنة مختلفة، وهو ما أســـهم في ترابط العناصر الفنية للعمل الروائي بصورة لافتة للنظر.

تناول الرواية من هذه الزاوية، يمكن أن يســـهم في إبراز المعالم الجمالية والفنية، وإعادة إنتاج النص الروائي.

لقد أبدع الروائي عيسى ناصري في استخدامه لتقنيات المكان، بمراوغات تشكيليه وتوظيفيه؛ تنير الطريق للمتلقي في إنتاج الدلالة. حين يبدأ نصه الروائي من النهاية، منطلقًا من المكان، ومنتهيًا به.

تبدأ أحداث الرواية، عبر دائرة محكمة من النهاية؛ لتعود إلى البداية، في قالب روائي تجريبي يمزج الكلمة بالفكرة، في صياغة مشوقة جاذبة، تبدو للوهلة الأولى متشتتة الملامح مثل قطع الفسيفساء، لكن المتلقي ما يلبث أن يضع القطع المتناثرة في أماكنها المناسبة، ويعيد ترتيبها لتتكون اللوحة الفنية المبدعة في ذهن المتلقي، وتصل الرسالة الفنية له عبر القالب الفني الإبداعي.

يناقش النص الروائي الواقع مناقشة عقلية فنية، عبْر مجموعة من الحكايات تضمها معًا رواية واحدة مشوقة، تثير في المتلقي غريزة المتعة الاستكشافية الفنية التنويرية التوعوية، حيث يمتزج الكاتب بالمكان ويراوغه فنيًّا، في لوحة فسيفسائية كلامية، قد أثار من خلالها قضايا يصعب المباشرة في تناولها؛ لصعوبة الواقع المعيشي في بعض الدول، التي تحاول تكميم الأفواه، وتفرض سيطرتها المحكمة على الإبداع. وهي محاولة روائية تجعل من المتلقي عبْر عنصرَي التشويق والإثارة، وعبر الدلالات المختلفة للأماكن، شخصًا إيجابيًّا، يتماهى في الفكرة، ويساهم في إنتاج الدلالة.

لذا فإن الروائي جعل من نصه الإبداعي دائرة تربط بداية النص الروائي بنهايته؛ في حركة فنية دائرية مروحية؛ ليظل المتلقي مشاركًا ومتفاعلًا مع أحداث النص الروائي، ومتفاعلًا معها وبها.

نحن أمام نص روائي تجريبي ذي مرجعية واقعية، يتناول معاناة الذات الحاملة لهموم الآخر، كما يتسم بالرؤية الشمولية للقضايا التي يبثها الكاتب خلاله، مستخدمًا التقنيات الروائية، عبر مجموعة من الروايات المتداخلة داخل نص روائي واحد، في تشويق وإثارة؛ لإبراز رؤيته وتحميل مضامينه الفكرية.

الكلمات المفتاحية : الفسيفسائي، عيسى ناصري، مراوغة المكان.

مدخل

لا شك أن الأديب من أكثر الفئات شعورًا بهموم الآخرين، وإحساسًا بأهمية دوره الفعال في تنوير الجماهير المترقبة للفنون الإبداعية المختلفة، إضـــافة إلى الضـــغوط المختلفة التي يتعرض لها المبدع، والتي من شـــأنها تفجير الطاقات الإبداعية عنده، حيث الصـراعات الداخلية الممزوجة بالأوضـاع الاجتماعية السـيئة، إضـافة إلى الدور السلبي من الجماهير في مواجهة القهر، والظلم الاجتماعي.

والرواية التي نحن بصددها " الفسيفسائي" للمبدع المغربي عيسى ناصري تكشف عن مدى ثقافة المبدع واطلاعه على ثقافات الآخرين، وقراءاته العميقة في الفلســـفة والسياسة، والفنون المختلفة، وهي من الروايات التي يشار إليها بالبَنَان من حيث الجودة الفنية، والتقنيات السـردية، وقدرة الكاتب على الإمسـاك بكافة الخيوط الروائية في حالة من التوازن اللافت للنظر.

تتكون رواية الفسيفسائي من ثلاثمائة وثماني وستين صفحة، ويبدأ الكاتب في إثارة عنصـــري التشـــويق والدافعية لدى المتلقي، حين يبدأ الرواية بمحقق يهوي قراءة الأدب، يجلس على المقهى ويبدأ في قراءة رواية يعثر فيها على حل للغز جريمة كان يحقق فيها لفترة طويلة، أَرَّقَتْهُ كثيرًا ولم يصل فيها إلى حل.

يعثر من خلال الرواية على إجابة عن الأســـئلة التي أَرَّقَتْهُ كثيرًا، حين يقرأ التفاصـــيل الدقيقة لجريمة قتل الســـائحة الأمريكية ببلدة زرهون، التي كان يحقق فيها وقُيدت ضد مجهول.

يظن المتلقي أن هذه رواية بوليسية، لكن ما يلبس أن يندمج في سير الأحداث المتتابعة؛ ليجد المتلقي نفسـه أمام روايات عدة، مضـمنة في الرواية الأولى، تسـافر بك عبر ثمانية عشر قرنًا من الزمان.

تشكلت الرواية من مجموعة من أربع روايات مشتبكة بعضها ببعض، كلما قرأ المتلقي فصلًا من رواية، انتقل إلى فصل آخر من رواية أخرى، تتقطع الحكايات، وتتداخل في بعضها البعض، كقطع الفسيفساء المتناثرة، والتي عليك أن ترصصها مرة أخرى؛ لتشعر بمتعة الرؤية.

من هنا جاء الدور الحيوي للمكان في تشكيله وتوظيفه من المبدع، الذي كان بمثابة الوعاء الحامل لهذه القطع المتناثرة؛ لنرى من خلاله الصورة كاملة، وتكتمل لدى المتلقي الدلالة.

يعيش المتلقي في كل مرة جوَّ الرواية التي يقرؤها بشغف؛ ليقطعها الكاتب ويبدأ في الرواية الثانية في جوٍّ مختلف تمامًا، في حِزَم مختلفة مقطعة بين أزمنة تجتمع كلها في مكان واحد هو مدينة وليلي المغربية.

ويذهب الباحث من خلال قراءة الرواية، والإبحار في جوها الماتع، إلا أن الكاتب عمد في بناء هذه الرواية إلى الشكل المعماري المليء بالمتاهات، وعدم المباشرة، ومحاولة التجريب من الكاتب في الشكل الروائي؛ لتستفز الرواية بهذا الشكل، في محاولة لاستفراغ الجهد التأويلي للمتلقي، وإثارة الدافعية لبذل الجهد للقبض على تداعيات الأحداث ، فهو نص مفخخ، يحتاج إلى متلقٍ مستكشف، يهوى الإثارة والتحدي.

والبحث يحاول– من خلال تجربة الأديب عيسى ناصري– إعادة إنتاج النصِّ الروائيّ من خلال مراوغة الكاتب للأماكن المختلفة في الرواية؛ للكشف عن الخصائص الجمالية والفكرية والدرامية، بغية إنارة الطريق أمام المتلقي؛ للتمتع بالنص الروائي بجمالياته وإمكانياته السردية.

ففي عرض الكاتب للأماكن التاريخية والأثرية وغيرها في قُطر عربي شقيق، وَظَّفَ الكاتب الأماكن المختلفة في الرواية بطريقته الفنية التي جعلت من الرواية –

التي قد تبدو للوهلة الأولى أنها حكايات متناثرة في صـــحراء شـــاســـعة، لا يربط بينها رابط– بناءً معماريًّا متماسك الجدران، واضح المعالم، بعد أن يتم وضع قطع الفسيفساء المبعثرة في أماكنها المناسبة؛ لتكتمل الصورة الفنية الممتعة.

لقد وَظَّفَ الكاتب أماكن مختلفة، ومواقع أثرية، وأحداثًا تاريخية، في عملية كيميائية، مزج فيها بين المعطيات البيئية المختلفة، والموهبة الأدبية، والثقافة الفكرية ؛ للكشـــف عن الواقع الأليم في بعض البلاد العربية، والســـرقات المنهجية للتراث العربي والإرث الحضـــاري للشـــعوب العربية، والمعاناة النفســـية لدى الكثير من المثقفين والنخبة ممن يرون هذه الموروثات في غير بلادها الأصـــلية، ويتعرضـــون للظلم الاجتماعي بإثارتهم لهذه القضايا؛ فيعيشون واقعًا مريرًا.

كما تعرَّض الكاتب في نصه الروائي للسرقات الأدبية، ومحاولة الضغط على المبدعين عبر الإغراءات المادية لسرقة عصارة إنتاجهم الفني.

أسباب اختيار البحث

من أســـباب اختيار موضـــوع البحث ما يتمتع به المكان من أهمية تفوق عنصـــر الزمان حيث يرى بعض الباحثين أن المكان" يفعل فعله في الإنســـان من حيث كونه حضـــريًّا أو بدويًّا، ريفيًّا أو مدنيًّا، أرســـتقراطيًّا أو شـــعبيًّا، مخططًا أو عشـــوائيًّا، فيكون تأثيره في الفرد من حيث السلوك واللغة واللهجة والمأكل والملبس والتعليم والثقافة والمظهر الخارجي تأثيرًا مباشرًا، وفي المضمون الداخلي كذلك". (١)

والنص الروائي الذي نحن بصـــدده، يتمتع بخصـــائص جمالية ودرامية وفكرية وسردية، مع قدرة الكاتب عيسى ناصري على توظيف الخصائص الروائية المختلفة في

(١) عتاب عادل, الخطاب الروائي في دفاتر التدوين لجمال الغيطاني, الهيئة المصـرية العامة للكتاب, ط١, ٢٠١٨م ,ص١٠٥.

نصه الروائي " الفسيفسائي" بطريقة إبداعية تجذب القارئ وتثير فيه غريزة الاكتشاف، مع عدم الاخلال بطبيعة النص الروائي.

ويذهب الباحث – من خلال قراءة النصـــوص المختلفة للكاتب المغربي عيســى ناصــري– أن الكاتب يتمكن من نصــوصــه الســردية، ويجيد توظيف أدواته الكتـابيـة–على الرغم من قلـة إنتـاجـه الروائي– إلا أنـه يتقن توظيف الأدوات الفنيـة، والتقنيات الروائية، ويمزجها بقضـيته المطروحة في قالب روائي يشـمل عنصـرَي المتعة والفائدة معًا.

وكما يرى بعض النقاد أن المعنى الأدبي" مراوغ، والنقد أبدًا مطارد، وكما أنه ليس هناك من يقدر أن يزعم أنه فهم حكمة الحياة فلم يترك فيها زيادة لمســتزيد، كذلك ما من ناقد يقدر أن يغلق باب التفســير والبحث عن المعنى في وجه غيره من القارئين والناقدين" (١)

من هذا المنطلق يحاول الباحث في مطاردة نقدية، قنْصَ المعاني الدلالية، والمعالم الجمالية، لتوظيف الأماكن المختلفة في النص الروائي " الفسيفسائي" من خلال تعقب الأثر الفني، وفك الأساليب السردية، وإعادة تركيبها ومساعدة المتلقي وإضاءة النص الروائي أمامه، والوصـول به إلى متعة الإبحار في قراءة النصـوص الروائية في العموم ، والنص الذي نحن بصدده في الخصوص.

الدراسات السابقة

تناول البعض من الكتاب رواية الفسيفسائي، في صورة مقالات أدبية قصيرة، مثل محمد العمراني (التقعر والميتاسرد في رواية الفسيفسائي، وأحمد بيضي (تقنيات الكتابة في رواية الفسيفسائي، والإيروسية والباخوسية: محاولة لمقاربة شخصيات رواية

(١) رشيد العناني, المعنى المراوغ, الهيئة العامة لقصور الثقافة, مصر,١٩٩٣م, ط١, ص٨.

الفسيفسائي)، وعارف حمزة (ألعاب الفسيفسائي السردية رواية بوليسية في روايات عدة)، ودعد ديب (اشتغال على اللغة والتاريخ والمدن المنسية في رواية الفسيفسائي)، وكلها جاءت في صورة مقالات أدبية ونقدية قصيرة لا تتعدى ورقة أو اثنتين.

والبحث يتناول المكان ومراوغاته في الرواية "التشكيل والتوظيف" لإنتاج الدلالة من خلال التحليل والعرض، ودور المكان في تحريك السرد، ومدى التشابك والترابط بينه وبين العناصر المختلفة التي استعان بها الكاتب في نصِّه الروائي، وهو الأمر الذي لم يتناوله أحد من الكتاب في هذه الرواية.

وعبر المراوغة المكانية في الرواية التي نحن بصددها، يحاول البحث الإجابة عن مجموعة أسئلة :

- هل نجح النص الروائي في إثارة المتلقي وهو يقرأ حروف الرواية، وما يتخللها من إشارات إلى المتلقي، في تبادل بين فسيفساء الكلام وفسيفساء المكان، ليطرح السؤال متى يتوقف نهب الإرث المغربي؟
- كيف شكَّل ووظَّف المبدع الأماكن التراثية مع الأثرية للوصول إلى الدلالات المختلفة للنص الروائي؟
- كيف عكست هذه الأماكن جماليات النص الروائي من ناحية، والواقع المؤلم في معظم المجتمعات العربية من ناحية أخرى، والصراع بين الحضارات، والنهب الممنهج للآثار والتراث العربي؟
- هل كان لحضور هذه الأماكن دور في إبراز المعالم الفنية والجمالية في النص الروائي ؟
- ما الدوافع الفكرية والفنية لتوظيف الأماكن المختلفة ؟ وما دورها في التماسك النصي وكشف جماليات النص الروائي؟

من خلال هذه الأسـئلة وغيرها يحاول البحث معالجة الموضـوع معتمدًا على خطة من مدخل وثلاثة مباحث وخاتمة.

- **جاء في المدخل التعرف بالكاتب ونصـه الروائي، وأسـباب اختيار البحث، والدراسات السابقة حول النص الروائي .**
- **المبحث الأول: سيميائية العتبات المكانية في الرواية التشكيل والتوظيف.**
- **المبحث الثاني :التشكيل المعماري والجهد التأويلي .**
- **المبحث الثالث: الأبعاد الدلالية للمكان المركزي والأماكن الملحقة به.**

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة لعرض ما توصـلت إليه الدراسـة، ورصـد مصـادر ومراجع الدراسة.

وقد تناول البحث الأبعاد المختلفة لتشـكيل وتوظيف المكان المركزي والأماكن التي تدور في فلكه في النص الروائي، في مدخل وثلاثة مباحث وخاتمة، ووقف عند مضـمرات النص الروائي، والمسـكوت عنه في العمل الإبداعي، محاولًا الكشـف عن دلالات الأمكنة المتعددة، ومدى تأثرها وتأثيرها في السـرد، في محاولة لإنارة الطريق أمـام المتلقي، وإعـادة إنتـاج النص الروائي، مسـتعينًـا في ذلـك بـالمزج بين المنهج الاجتماعي والمنهج البنيوي، ومقولات من المنهج السيميائي، وفقاً لطبيعة الموضوع.

المبحث الأول: سيميائية العتبات المكانية في الرواية" التشكيل والتوظيف":

١- عتبات المكان إضاءات بصرية في رواية الفسيفسائي

نشأ الكاتب عيسى ناصري[١] في بيئة تتميز بمواقع تاريخية وأثرية، استطاع خلالها- عبر التصوير الفني بكاميرا الكلمات- أن يلتقطَ أدق التفاصيل، في عرضٍ يُومئ بعشق الكاتب لهذه الأماكن، وتأثيرها الواضح من خلال عادات وملامح المجتمع الذي يعيش فيها، حيث جعل من نصه الروائي أداة لمسح ضوئي لقرون من تاريخ أماكن(مكناس- وليلي- زرهون- إدريس)، كما يبدو تأثر الكاتب بمحيطه الاجتماعي وهو ما انعكس على لغة الرواية، وهو الأمر الذي أكده كثير من النقاد: "تأثير الحياة الاجتماعية على الأشكال الفنية لا يمكن أن يكون مباشرًا كما يدعو الأيديولوجيون؛ بل هو دائمًا من خلال أنظمة وسيطة أخرى من أهمها اللغة".[٢]

أ- أحداث الرواية مدخل نظري:

تجري أحداث رواية "الفسيفسائي" [٣]على أرض موريتانيا الطنجية، موزعة بين عدة مدن، تمثل مدينة وليلي الأثرية البؤرة المركزية للنص الروائي، وتدور في فلكها عدة مدن مغربية كمدينة زرهون ومكناس ومولاي إدريس.

---

(١) عيسى ناصري روائي مغربي, من مواليد ١٩٨٥م , يعمل أستاذًا للغة العربية بالسلك الثانوي, حاصل على الماجستير في التنمية اللغوية وقضايا المصطلح الأدبي من جامعة سيدي محمد بن عبد الله مدينة فاس, صدر له مجموعتان قصصيتان بعنوان مسخ ذوات الناب ٢٠١٦م , وعمى الأطياف ٢٠١٧م, وروايته الأولى الفسيفسائي ٢٠٢٣م التي وصلت للقائمة القصيرة للبوكر العربية٢٠٢٤م، وكانت مرشحة بقوة للجائزة الأولى, وحصل الكاتب على جائزة اتحاد كتاب المغرب للشباب دورة ٢٠١٧م, وجائزة أحمد بسبور للقصاصين الشباب للشباب.

(٢) صلاح فضل, نظرية البنائية في النقد الأدبي, مهرجان القراءة للجميع٢٠٠٣م, مكتبة الأسرة, سلسلة الأعمال الفكرية,مصر,ص٧٢.

(٣) الفسيفسائي هو الشخص الذي يقوم بتجميع قطع الحجارة ضمن مخطط هندسي بنائي معين في تصور مسبق ومتشكل سواء على قطع قماش أو على قطع من الجبس ؛ ليتم وضع هذه الأحجار بطريقة فنية ومن ثَمَّ ملء الفراغات, لتتشكل اللوحة , كل حجر بذاته لا قيمة له, ما لم تكن هناك علاقة تربط بين أجزائه مع باقي أجزاء اللوحة, حتى يظهر هذا الفعل الواعي بعملية الخلق الإبداعي, للمزيد انظر الشبكة العنكبوتية.

من خلال القيمة التاريخية لهذه المدن، وما تحويه من آثار، يحاول الكاتب أن يجعل هذه الأماكن شـــاخصـــة أمام المتلقي، لا لينظر إليها بل لينظر فيها، ممعنًا فيها بصيرته لا بصره.

يبدأ الكاتب نصـــه الروائي من نهاية الرواية في حركة مروحية، جاذبة للقارئ، حيث العنصر البوليسي في مقطعي المستهل والنهاية، كإطار للوحة الروائية المؤلفة من أربعة مخطوطات، حين يجلس مفتش الشرطة على المقهى وفي يده رواية لفتت انتباهه تسـمى " الفسـيفسـائي"، كان قد اشـتراها من المنفذ المعتاد لعرض مثل هذه الروايات، والمجاور للمقهى المفضـــل له، وهو من الضـــباط المتميزين في فك شـــفرات الجرائم المســتعصـــية، كما أنه من هواة قراءة الروايات؛ ليتفاجأ الضـــابط باحتواء الرواية على تفاصـــيل دقيقة لجريمة قتل الســـائحة الأمريكية أريادنا نويل، والتي ماتت اختناقًا بغاز السخان في منزلها بمدينة وليلي الأثرية، وعجز عن فك لغز الوفاة وقيدت الجريمة ضد مجهول. ثم يبدأ الكاتب في سرد أربع روايات متشابكة برواة وشخصيات مختلفة، كل رواية تتمخض عن رواية أخرى.

تلعب الفسـيفسـاء دورًا محوريًّا في أحداث الروايات، تدور الأحداث حول لوحة فسـيفسـاء أثرية من العصـر الروماني في مدينة موريتانيا الطنجية، وتتكون هذه اللوحة من ثلاث قطع، الأولى في متحف اللوفر بفرنســـا، والثانية والثالثة في مدينة وليلي المغربية.

تجذب اللوحة انتباه كاتبة أمريكية للبحث عن أصـــولها في مدينة وليلي المغربية، هذا البحث، تتشابك من خلاله الأحداث والروايات المختلفة والشخصيات عبر أزمنة بعيدة وقريبة وأماكن مختلفة، تستفز ذكاء المتلقي وتدعوه للتأمل في موضـوعات عدة كالحرية، والفن، والحفاظ على التراث، وغيرها من الموضوعات الهامة للمتلقي.

فيتلاعب الكاتب بالتصنيف الروائي من خلال الشكل والمضمون؛ لينقلنا إلى التجريب في هذا الفن الماتع، فيبدأ المتلقي في الجهد التأويلي من خلال قراءة أربع روايات لكتَّاب أربعة هي:

- ليالي وليلي كتبتها الكاتبة الإنجليزية أريادنا نويل.
- الفتى الموري كتبها جواد الأطلسي.
- باخوس في العيادة مذكرات كتبتها الطبيبة النفسية نوال الهناوي.
- الفسيفسائي كتبها تهامي الإسماعيلي، وهي عبارة عن مزج للروايات الثلاثة السابقة، بعد أن استطاع بطرق مختلفة سرقة هذه الروايات ودمجها في رواية واحدة.

يستلهم الكاتب من خلال هذه الروايات الأربعة أحداثًا وأفعالًا وأماكن واقعية، كانت هي المرجع في النص الروائي، حين تظهر في نهاية الرواية الأسماء الحقيقية لأبطال النصوص الأربعة في النص الروائي الفسيفسائي.

فالرواية تمسح قرونًا من تاريخ أماكن " وليلي – مكناس– زرهون– إدريس) حين يعود بنا الروائي في رواية "الفتى الموري" للقرن الثاني الميلادي، فترة الاحتلال الروماني لموريتانية والمغرب العربي، ملقيًا الضوء– من خلال الأماكن المختلفة– على الزمن المثقل بالعبودية والسرقة الممنهجة لآثار البلاد، في رحلة من العذاب والمقاومة، ومشاهد التعذيب المختلفة وغير المحتملة، في أماكن اختارها الكاتب بعناية فائقة، في جوٍّ روائي يحمل في طياته المتعة الممزوجة بالفائدة، في محاولة لرفع أفق المكان من المستوى الحسي من خلال التشكيل والتوظيف إلى المستوى الدلالي التوعوي.

فبنية الرواية تتماشى مع فن الفسيفساء، والتي تقوم على التفكيك والتداخل والتشابك والتشظي، كما تقوم على النظام البصري الذي يكتشف في كل مرة ينظر فيها

إلى لوحة الفسيفساء مركزًا وملاحق، سرعان ما تتحول هي نفسها إلى مراكز لها ملاحق.

وهو نفس انطباع المتلقي حين يقرأ الرواية وينتقل بين نصوصها، وبين أصوات الرواة.

يجمع الكاتب أربعة روايات متشابكة برواة وشخصيات مختلفة، كل رواية تتمخض عن رواية أخرى، إذ نجد أن كُتَّاب الروايات يحكون عن بعضهم ، كل كاتب يخرج بروايته من صلب كاتب آخر، هذه الروايات تتباعد وتتقارب وتصل لرواية واحدة هي " الفسيفسائي "، تجمع بين الماضي والحاضر، وتسير في خط متوازٍ؛ لتكون لوحة روائية ماتعة، عند التدقيق والنظر فيها بعين ناقدة نافذة، نجد أنها تحوي رواية خامسة في قلب الروايات الأربعة، وهي رواية المؤلف نفسه الذي ذاب في الروايات الأربعة، بدلائل تشير إليه، وهو نفس الانطباع عند التدقيق في لوحة الفسيفساء، وهو ما يعبر عن أهمية ودور المكان في جمع الأشياء المتفرقة.

ب- ملامح التشتت والتشظي المكاني:

إذا أمعنا النظر في لوحة الغلاف لرواية" الفسيفسائي" كمكان يحوي اسم المؤلف، واسم الرواية، ويتضمن لوحة فسيفسائية لفتاة مغربية تدور معظم أحداث الرواية حولها، في توزيع لوني وشكل توظيفي ينم عن وعي عميق، ويسهم في جذب المتلقي.

فإذا كانت " المباني المعمارية قوامها الحديد والأسمنت والحجارة، تنشأ على مساحة من الأرض، فإن المبنى الحكائي قوامه اللغة والكلمات والشخصيات تنشأ على مساحة من الورق، وإذا كان المهندس المعماري أداته العمال، فإن الكاتب الروائي أداته

القلم، وإذا كان المهندس المعماري يستخدم النقاشة لتنسيق مبناه، فإن الكاتب الروائي يستخدم علامات الترقيم لتنميق مبناه"[١]

فالنص الروائي يشبه البناء الواسع، بكل ما فيه من ممرات وتشابكات وغيرها، والذي يحتاج منا معرفة بعتباته الأولى، قبل الغوص في أعماقه، لا سيما إذا كانت هذه العتبات متصلة بالمتن الروائي.

" والتسمية هنا لا تعني مجرد إطلاق الأسماء على الأشياء، بل تعني الرصد اللماح والذكي للظواهر، واكتشاف العلاقات الدقيقة والمركبة بينها"[٢]

والبحث لا يذهب لتصنيف الرواية عبر المراوغات المكانية، إلا أن الرواية فن مكاني أو فن زماني، ولا يطمح في استخدام مصطلحات للتدليل على صحة اتجاهه، فللروائي الحرية في جعل نصه الأدبي يتصف بالمكانية أو تغلب عليه الزمانية أو المكانية، لكن الدور الأهم يأتي من قبل المتلقي، لعرض الأهمية التي يتميز بها هذا العنصر أو ذاك في تماسك النص الروائي.

"فبين العتبات والمكان تبادل تأثير كبير تحقق للنص العربي قديمًا وحديثًا شعرًا ونثرًا، إذ كان للشعر والسرد دور في تفعيل مباشر لمفهوم العنوان /المكان." [٣]

والكاتب نشأ في بيئة تتميز بمواقع أثرية وتاريخية، استطاع الكاتب من خلالها أن يسقط عليها معاناة شخصيات الرواية؛ مما أمتع المتلقي بخلفيات الأماكن التاريخية وموروثات أصحابها الشعبية والتراثية في حبكة روائية ممتعة من خلال ترابط النصوص المختلفة مع النص العام للرواية.

---

(١) عتاب عادل, الخطاب الروائي في دفاتر التدوين لجمال الغيطاني, سابق ,ص١١٣-١١٤.

(٢) سامي عبد العزيز العجلان, إغواء العتبة, مؤسسة الانتشار العربي, ط١ , ٢٠١٥م, ص٣٠٢.

(٣) معجب العدواني, تشكيل المكان وظلال العتبات, نادي جدة الأدبي,ط١ ,٢٠٠٣م , ص٥.

ج- إضاءات بصرية في لوحة الغلاف:

الغلاف هو واجهة العمل الأدبي الروائي وهو النافذة الأولى؛ التي ندخل منها للعمل، وهو يخضع لنوع من التمحيص الدقيق من قبل الكاتب؛ لأهميته البالغة للمتلقي، وقد خضع الغلاف- وفق تقدير الباحث- إلى تدقيق من قبل الكاتب لإخراجه بصورة مناسبة وملائمة لطبيعة النص الروائي.

وبقراءة الصورة البصرية التي بين أيدينا يتبين أن "اللون البني" [١] يمثل خلفية فضائية لصفحة الغلاف، كما يحتل اسم المؤلف وعنوان الرواية النصف الأعلى من صفحة الغلاف، وهو مميز باللون الأبيض وفي النصف الآخر من الصفحة في الأسفل صورة لفتاة بالزي الموريتاني المغربي، تنظر إليك نظرة عميقة، في ترتيب فني "زليجي " [٢] فسيفسائي وفي يمين أسفل الصفحة اسم دار النشر وفي اليسار تصنيف العمل " رواية".

تتمتع صورة الفتاة في لوحة الغلاف، بنظام بصري بديع يحتاج من المشاهد التدقيق في الصورة الفسيفسائية، من خلال التنقل بين زوايا الصورة ومركزها، يكتشف في كل مرة مركزًا جديدًا للفسيفساء، وملاحق تدور به، سرعان ما تتحول إلى مراكز لها ملاحق، وهو انطباع بصري يتفق مع جو الرواية، التي تتكون من أربع روايات

---

(١) اللون البني لون حيادي وطبيعي يتسم بالدفء ويضفي مشاعر الأمان، إنه لون أرضي يثير بساطة عناصر من الطبيعة, وهولون تستعين به لمشاعر الطبيعة, ويدل على الاستقرار والأمان, والتراب والأرض والطبيعة, والوحدة والحزن والمشاعر السلبية, للمزيد انظر,مجد فرارجة, دلالة اللون البني, الشبكة العنكبوتية.

(٢) هذا النوع من الفن الإسلامي تطور في الأندلس والمغرب العربي, وهو من أهم الخصائص المعمارية المغربية خرج من بلاط فن الفسيفساء , ويتكون من فسيفساءات هندسية النمط, لتزيين الجدران والأسقف والنوافذ والأرصفة وأحواض السباحة والموائد, مستمدة من الفسيفساء الكلاسيكية المستوحاة من التصاميم اليونانية والرومانية, للمزيد, انظر محمد آيت حنا, الفسيفسائي رواية عصية على التصنيف, الشبكة العنكبوتية,

مشتبكات بعضها ببعض، ومتداخلة في بعضها، كلما قرأت فصلًا من رواية نقلتك إلى فصل آخر من رواية أخرى، وتتقاطع الروايات في نظام يحتاج من المتلقي رصها مرة أخرى كقطع فسيفساء، في حِزم مختلفة بين أزمنة وأمكنة تجتمع كلها في مدينة وليلي الأثرية، كقطعة واحدة من الفسيفساء المغربية الأمازيغية؛ ليرى المتلقي الصورة كاملة.

وفي ظهر الغلاف يبدو فضاء الصفحة باللون البني الفاتح، في أعلاه اسم الكاتب، وتحته اسم الرواية وكلمة للناقد عيسى جابلي، يحاول فيها عبر رؤيته النقدية جذب القارئ بكلمات مختصرة للمتن الروائي لرواية الفسيفسائي " حالمًا تستوي لوحة الفسيفساء في ذهنك، تستيقظ فيه الأسئلة بعدما كانت ساكنة في ثنايا الحكي. من أين تنهض الحرية؟ من الذاكرة أم من الإرادة أم من تزاوجهما معًا؟ ومن منهما يحدد الآخر وينحته، الفن أم الوجود؟ أليس ما يبقى من هذه الحياة قطعة فسيفساء تقولها وتسلم الباقي إلى النسيان؟ وما النسيان أيها القارئ إن لم يكن قطعة فسيفسائك الضائعة ؟[١]

وفي الأسفل يوجد دار النشر ورقم الإيداع، وهي تقسيمة مكانية تهدف إلى استغلال أماكن بعينها، تبدو جاذبة لانتباه المتلقي، وتعينه على تتبع المسارات السردية، والإمساك بالخيوط الأساسية في النص الروائي.

د- إضاءات بصرية في العنوان:

العنوان مع لوحة الغلاف " يشتركان في أمور كثيرة فهما من العتبات الأولى التي تواجه القارئ قبل دخوله إلى النص، كما يجمعهما التجاور والقرب المكاني، وهو القرب الذي يصل أحيانًا إلى حد التباس المقدمة بالعنوان." [٢]

إن ما يطمح إليه البحث هو محاولة تأصيل هذا العنصر المكاني المهم، والذي لا يقل أهمية عن بقية العناصر الرواية، ودوره في التماسك النصي للرواية.

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, منشورات مسيكلياني, تونس , ط١, ٢٠٢٣م, ظهر غلاف الرواية.
(٢) سامي عبد العزيز, إغواء العتبة, سابق, ص٥٧٥.

فقد " كان لنظرية التفكيك وما بعد البنيوية أثر واضح في الاهتمام المعاصر والمتزايد بالعنوان، بوصفه جزءًا من الهامش الذي أهملته النظرية الأدبية المركزية، المعتمدة على التمييز القاطع بين الثنائيات المتقابلة مثل المتن والهامش، والخارج والداخل".(١)

فالعنوان يعدُّ من العتبات المهمة في النص الروائي، وهو الوسيط الأول بين النص والمتلقي، وقد يختزن فحوى النص الروائي في العنوان، ويمكن أن يُنْبئ عن مضمون النص، وإذا كان العنوان هو المفتاح " كونه مفهومًا حداثيًّا، يحمل دلالات تشرع أبواب النص أمام القارئ ولها علاقة مباشرة مع النص وعناصره السردية فكأنها شيفرة لدخول النص" . (٢)

والمبدع يحاول أن يدخل إلى عالمه الإبداعي تجليات العالم الخارجي وينفخ فيها من روحه " كي تشاركه الأماكن المعاناة والقهر والفرح في الحياة "(٣)

" بالاسم تتمايز الأشياء، وتفترق، وينفصل بعضها عن بعض، فتذهب الحيرة، ويحِلُّ الاطمئنان"(٤)

فعنوان الرواية" الفسيفسائي" يحمل الكثير من الدلالات، مع ارتباطه الشديد بالمتن الروائي، ومن خلال الحركة الترددية التي يحاول البحث تطبيقها على النص الروائي، من العنوان إلى المتن الروائي، ومن المتن الروائي إلى العنوان، في حركة تحليلية مروحية بين الطرفين، من خلال المستويات الصوتية والدلالية للعنوان.

---

(١) سامي عبد العزيز, إغواء العتبة, سابق, ص٧٨٩.

(٢) أبو الفضل رضائي, مجلة اللغة العربية وأدابها, سنه١٤,العدد٤, شتاء ١٤٤٠هـ, ص٥٩٩.

(٣) ميخائيل بأختين, أشكال الزمان والمكان في الرواية, ت, يوسف حلاق, وزارة الثقافة, دمشق, سوريا,١٩٩٠م, ص١١٩.

(٤) محمود الهميسي, براعة الاستهلال في صناعة العنوان, مجلة الموقف الأدبي, س٢٧,عدد٣١٣,آيار,١٩٩٧م, ص٣١.

عنوان الرواية " الفسيفسائي" يحتوي على لفظة معرفة بالألف واللام، منتهية بياء النسب، في توازن حرفي بين الحروف المهموسة والحروف المجهورة، تشير إلى حرفة تاريخية تمثل فنًّا موروثًا من الفنون التراثية المغربية، والتقسيم الصوتي البديع في كلمة الفسيفسائي يمهد لحالة شعورية، وإيحاء نفسي يوحي به المكون المادي للوحات الفسيفسائية– التي تستدعي فنانًا ينظّم القطع المختلفة، ويضعها في موضعها المناسب– ويدخل المتلقي في حالة من الشعور الجيد لاستقبال النص الأدبي.

كما أن التكرار اللافت للنظر لمفردة الفسيفساء عبر سطور النص الروائي منذ البداية وحتى نهاية النص، يوحي بالتناسب بين العنوان والمتن الروائي، كما أن سيطرة الحروف المهموسة على العنوان، يعطي دلالة قوية لشعور الروائي الكامن في أعماق نفسه، والشعور الظاهر في متن الرواية من خلال قراءة الروايات الأربعة التي تحتضنها الرواية الأم.

وإذا تطرقنا إلى صفحة الغلاف كونها المكان الأول الذي يرسم فيه الروائي ملامح نصه، ويحاول جاهدًا اختيار وضع الألوان والصور المناسبة للربط بين العنوان والمتن الروائي، فمكان صفحة العنوان الأولى "هي البداية الرئيسة للولوج إلى بهو النص الروائي، والتعرف على متاهاته، وتلمُّس أسرار لعبته وإدراك مواطن جمالياته، وهي التي تسيج النص وتسميه وتحميه، وتميزه عن غيره".[١]

ومن هنا فإن التسمية للعنوان، والتي ستوضع فوق المكان المناسب في غلاف العمل الروائي، يتم اختيارها بعناية وذكاء من قبل الكاتب، وهو ما يبدو جليًّا في النص

(١) جيرار جنيت, خطاب الحكاية, بحث في المنهج, ت, عبد الجليل الأزدي, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة, ط٢ , ١٩٩٧م, ص١٥.

الروائي" الفسيفسائي ف" ليس المقصود بإستراتيجية التسمية ما هو متداول، من حيث اختصارها على الأسماء فحسب، بقدر ما تعني صناعة العالم بالعلامات اللسانية"[١]

والدلالة البصرية لعتبة العنوان تميل إلى كون الرواية- من عنوان وغلاف يحوي صورة فتاة مغربية أمازيغية- سيرة لبطل شعبي أو بطل تاريخي اسمه الفسيفسائي، غير أن المتلقي ما يلبث أن يشعر في بداية قراءته للرواية أنها بوليسية، ويتبخر هذا الاحساس عند التوغل في قراءة الروايات المتعددة داخل الرواية الأم.

فإذا كان الغلاف الخارجي للرواية كونه المكان الأول الذي وضع الكاتب فين عنوان الرواية، في صفحته الأولى تظهر صورة لفتاة مغربية مع عنوان الرواية بشكل قطع فسيفسائية، في تناسق جسدي بارع، عميق الدلالة، في دلالة على تناسق العنوان مع متن الروايات الثلاث التي تمثل قِطعًا من الفسيفساء الكلامي، مع المذكرة والملحق في الرواية وفق الترتيب الروائي للنص.

والموضوعات التي تناولها النص الروائي المنتقاة بعناية، والتي تعالج – من وجهة نظر الروائي – حقبة زمنية طويلة، عاكسة نظرة الإنسان المغربي إلى الواقع وقضاياه المختلفة، وارتباط هذه الشخصيات بالأماكن المتعددة، التي تُظهر وتُجسد الهوية العربية الإسلامية الأمازيغية، في لوحة فسيفسائية جسدها الكاتب بالكلمات، عبر أحداث الرواية.

وكما وصفها أحد النقاد" تقدم فكرة مصغرة عن النص، أو تختزل مضامينه وتثيرُ فكرَ القارئ تمهيدًا لإدخاله في عملية قراءة النص، وتقدم رؤية كلية عنه، وجملة من الترقبات والتوقعات لما سيأتي من بُنى نصية درامية، تجسد الأحداث وأبعادها." [٢]

---

(١) خالد حسين, في نظرية العنوان, دار التكوين, دمشق,٢٠٠٧م , ص٢٣.

(٢) عصام واصل, في تحليل الخطاب الشعري دراسة سيميائية, دار التنوير, الجزائر, ط١ ,٢٠١٣م, ص١٦.

من خلال التلقي للعتبة المكانية الأولى، يتضـــح أنها جاءت في هذا النص الروائي؛ لتعين المتلقي، وتحفز أســـئلة متعددة في مخيلته، وتدعوه للحوار مع النص الروائي، والكاتب في هذه الرواية بدأ نصه الروائي من النهاية.

فعند الولوج لصـفحات الرواية الأولى، يشـعر المتلقي أنه أمام رواية بوليسـية التصنيف، لكنه ما يلبث أن يدخل في حيرة عند قراءة العناوين الفرعية للرواية .

- ليالي وليلي." رواية الكاتبة الأمريكية أريادنا نويل.
- الفتى الموري. رواية الكاتب جواد الأطلسي.
- باخوس في العيادة. مذكرات الطبيبة النفسية نوال الهناوي.

هذه الروايات الثلاثة في صـــورة عناوين لروايات ثلاثة يكتبها أبطال النص الروائي نفسه؛ ليكتمل الشكل الإبداعي في الرواية الرابعة، التي يكتبها أحد أبطال الرواية الثالثة" باخوس في العيادة" عبر سرقة وتجميع الروايات الثلاثة محاولًا الإمساك بخيوط هذه الروايات ونسـجها بإحكام في رواية رابعة تحمل اسم الفسـيفسـائي، عبر مزج القطع الثلاثة مرتبة بأحداثها بما يضـمن تكاملها، وضـبط الزمن في بداية كل مقطع باسـتثناء رواية الفتى الموري، وتزييلها بملحق صـوت الفسـيفسـائي، مع اسـتهلال ونهاية بصـوت الســـارد الأعلى، الذي بوأته الروايات الثلاثة مقامه، في رواية جامعة تحمل اســـم " الفسيفسائي".

وعندما تدقق النظرة النقدية في خيوط وأنســـجة الروايات الأربعة تجد أنها تتضـمن رواية خامسـة، لكاتب النص الروائي نفسـه، وهو ما يتطابق مع فن الفسـيفسـاء في الحاجة إلى تدقيق النظر في ترتيب القطع المناســـبة، وفي وضـــعها في المكان المناسب؛ ليتمكن الشخص من رؤية الشكل الإبداعي النهائي.

المبحث الثاني– الشكل المعماري والجهد التأويلي في النص الروائي:

عند مطالعة النص الروائي " الفسيفسائي" يشعر المتلقي أن الكاتب يعمد في نصه الروائي إلى الشكل المعماري المليء بالمتاهات وعدم المباشرة، والرواية بهذا الشكل تستفرغ الجهد التأويلي للمتلقي، وسيحاول البحث الغوص في الدلالات المتعددة لأماكن الرواية المغلقة والمفتوحة وعلاقتها بالجوانب الأخرى من فنيات العمل الروائي، وإلى أي مدى أثرت في هذه العناصر وتأثرت بها، فالمكان كان عنوانًا لكثير من الأعمال الفنية المتميزة التي ذكرها النقاد منها: "حكايات حارتنا، وبيت سيء السمعة، وخمارة القط الأسود ..إلخ"(١)

"والمكان يوصل الإحساس بمغزى الحياة، ويضاعف التأكيد على تواصلها وامتدادها"(٢)

كما أن كبار الكتاب كنجيب محفوظ وغيره جاءت معظم أعمالهم حاملة في عنوانها أماكن زادت أهميتها بسبب هذه الأعمال الروائية، كما أنها أثرت وتأثرت بمسار الأحداث في هذه الروايات، سواءً كانت هذه الأماكن منفتحة أو منغلقة، وسيتناول البحث تشكيل وتوظيف الكاتب للأماكن المنفتحة والمنغلقة ودورها في إنتاج الدلالة للمتلقي .

أ- الأماكن المنفتحة في الرواية:

يحاول البحث من خلال تتبع الأماكن التي تناولها الكاتب في روايته الفسيفسائي المفتوحة منها والمنغلقة، أن يتناول دورها في المسار السردي، وتأثيرها المباشر وغير المباشر في عناصر النص الروائي المختلفة .

---

(١) محمد جبريل, مصر المكان دراسة في القصة والرواية, المجلس الأعلى للثقافة, ٢٠٠٠م, ص١٠.

(٢) عبد الرحمن الجبوري, بناء الرواية عند حسن مطلك, دراسة دلالية, المكتب الجامعي الحديث, ط١ ,٢٠١٠م, ص٦١.

ف" بعض الكتاب جعلوا من المكان بعدًا رئيسًا في أعمالهم، فلعله يمكن وضع نجيب محفوظ في مقدمة هؤلاء الكتَّاب، فالمكان هو " الشخصية المحورية" في غالبية أعمال نجيب محفوظ: القاهرة الجديدة، وخان الخليلي ، وزقاق المدق، بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية، وحب تحت هضبة الهرم، وغيرها.

١ – المقهى:

" دفعَ ثمنَ الكِتاب، وتوجه إلى مقهاه المفضل الواقع في أول جادة متفرعة عن الشارع الرئيس، طلب قهوته الصباحية المركزة وغرق في قراءة الرواية الجديدة المؤلفة من أربعمائة وثلاث وخمسين صفحة، ظل يقرأ طوال أربع ساعات لم ينبهه إلى مرورها السريع سوى شعوره بالجوع عندئذ خرج إلى أقرب سناك فتناول سندويتشا، ثم عاد لإكمال الكتاب"(١)

يعدُّ المكان من العناصر الأساسية في النص الأدبي، بأبعاده الإيحائية، وقد قسم الناقد الأردني "غالب هلسا" المكان إلى أربعة أنواع: المكان الهندسي، والمكان المجازي، والمكان كتجربة معاشه، والمكان المعادي، كما نجد أن الفرنسي "جاستون باشلار" يرى أن المكان الأليف هو المكان القادر على بث الألفة والسكينة داخل شخصية العمل الروائي، وبعض النقاد قسم المكان إلى مكان المشكلة، ومكان الاختبار، ومكان الحل. (٢)

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٧.

(٢) للمزيد انظر, غاستون باشلار, جماليات المكان, ت غالب هلسا, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع,ط٢ ,١٩٨٤. – غالب هلسا, المكان في الرواية العربية, دار ابن هاني, ١٩٨٩م.– محمد برادة, أسئلة الرواية أسئلة النقد, شركة الرابطة, الدار البيضاء, المغرب, ط١ , ١٩٩٦م.

فالمقهى هنا لم يمثل فقط المكان المعتاد الذي يمثل الروتين اليومي لمعظم الشخصيات، بل تعدى ذلك؛ ليصبح مكانًا لحل اللغز الذي حير الشخصية لسنوات، عبر قراءته لرواية تتضمن شرحًا وافيًا لملابسات جريمة حدثت منذ سنوات باحترافية شديدة وذكاء منقطع النظير، بلا خيط ولا أثر واحد يدل على الفاعل وقيدت ضد مجهول.

والمقهى من الأماكن التي تناولها الكثير من الروائيين في أعمالهم المتنوعة، وهي من الأماكن المتاحة للجميع، بما تحمله من مساحة واسعة من الحرية لشخصيات النص الروائي، فهي جزء من النشاط اليومي للكثير من الشخصيات المختلفة، كما أنها من مكونات النص الروائي بما تحمله من تصوير لمشاهد عديدة من الحياة الاجتماعية، وهي من الأماكن المفتوحة، كونها متاحة للجميع، ويشعر روادها بمساحة من الحرية في مناقشة الأخبار والحكايات المختلفة.

" كانت صلاة العشاء قد ارتفع في مآذن الحي عندما بلغ الصفحة الأخيرة، هذه أول مرة يقرأ رواية بحجم كهذا في حيز زمني يقارب تسع ساعات، بل هذه أول مرة يقرأ لكاتب مغربي فيفحمه ويمتعه ويربكه في آن واحد... كان دوار الإعجاب بما قرأ قد اختلط لديه برهبة جريمة وردت طي الكتاب هي جريمة قتل تتطابق تفاصيلها الدقيقة مع جريمة واقعية حدثت قبل سنين ببلدة زرهون المجاورة، إنها جريمة القتل عينها التي ذهبت ضحيتها امرأة أمريكية، جريمة غامضة شعر في قرارة نفسه وهو يحقق فيها شهورًا طويلة أنها حبكت بدهاء كبير، وتمت دون أن يترك له مرتكبها أي دليل ملموس."(١)

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٧.

فالمقهى كما وصفها بعض النقاد وسيلة من وسائل الفرار من العزلة "القهوة وسيلة البعض للفرار من الكآبة التي تفرضها عليه حياة العزلة، فهو يلوذ بذلك المكان الصاخب المزدحم ويتنحى فيه جانبًا"(١)

فغالبية رواد المقاهي خاصة في الفترة المسائية من الموظفين الذين يفضلون قضاء أوقات فراغهم فيها.

وحضور المقهى واضح في الرواية، حيث يمثل مكانًا للراحة النفسية، وفي بعض الأوقات، يتخذ منه السارد أداة لعرض الآراء والمقترحات المختلفة والاتفاقات حول موضوع ما.

"لما استرحنا بمقهى متحف الفنون الجميلة في بوسطن كل ما أخبرتني به "لينا تومبان" أن بالقرية المتاخمة للموقع مدرسًا شابًا يعرف المكان الذي توجد به فسيفساء مفقودة منتزعة من الموقع الأثري فسيفساء شبيهة بتلك التي أريتها إياها على حاسوبي المحمول"(٢)

كما جاء المقهى في النص الروائي كمكان يحمل طابع الرومانسية حين التقي تهامي الإسماعيلي بالطبيبة نوال الهناوي.

"التقينا بمقهى قريب من محطة القطار " الأمير عبد القادر" كان تهامي في كامل أناقته بحذاء أسود لامع وبنطلون جينز وجاكيت من قماش " التويد" يرتديها فوق قميص أبيض ترك أزراره العلوية مفتوحة كاشفة عن عشب صدر يشهره أمامي كسلاح"(٣)

---

(١) محمد جبريل, مصر المكان دراسة في القصة والرواية, المجلس الأعلى للثقافة.٢٠٠٠م, ص١٠.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٣٦.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٧٨.

" ألا ترين أن الجلسات العلاجية من الأفضل لها أن تكون في فضاءات عمومية مثل هذا المقهى، لا بين جدران عيادة تذكر الداخل إليها بأنه مريض؟"(١)

فالمقهى يمكن أن يتحول لمكان عذب يذوب فيه الوقت، وفقًا لطبيعة الجلسة.

" كانت العذوبة قد وجدت طريقها إلى جلستنا التي استرسلت ما يربو عن ساعتين"(٢)

كما يمكن أن يمثل المقهى لكثير من رواده حالة من روتين يومي، أو مكان لتعقب بعض الشخصيات؛ لمعرفة تفاصيل معينة، أو قضاء أوقات ماتعة لمشاهدة هوايات معينة لكثير من روادها، أو بعد الانتهاء من مشكلة معينة أو موضوع ما يشغل صاحبه، وهو ما يسهم بشكل واضح في المسار السردي للنص الروائي.

" أضعت ثلاث صباحات متوالية في الجلوس بالمقهى متقوقعًا خلف طاولة أراقب العابرين"(٣)

" بتنوع الشخصيات داخل النص الأدبي تتنوع الأماكن أو العكس ذلك ما يجعلنا نطالع في الأعمال الأدبية مختلف الأماكن بمختلف أبعادها، مما يجعل الأدب يتقدم على الفنون الأخرى التيُ صنفت على أنها فنون مكانية"(٤)

" سأقضي نهاية هذا الأسبوع بمكناس، ومن الغد سألتحق بمقهاي الأثير بحي الروى لأحجز مقعدي قبل ساعات من بث المباراة"(٥)

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص.٢٧٩

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص.٢٨٠.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٣١٨.

(٤) رينيه ويلك, أوستن وارن: نظرية الأدب, ت عادل سلامه, دار المريخ,١٩٩١م, ص١٨٣.

(٥) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابقص٢٩٢.

فالمقهى كمكان مفتوح ووجهة لكثير من شـــخصـــيات الرواية المتنوعة، أمد النص الروائي من خلال تردد الشـخصـية عليه بمسـاحة من الحرية والمتعة لممارسـة هوايات – في بعض الأحيان– يضيق بها المكان المغلق.

كما يمارس عليه بعض الشخصيات بعض الهوايات المفضلة، كقراءة الصحف أو الروايات، حيث نجد أن الكاتب جعل من المقهى مكانًا ذا طابع خاص يمد الشخصية بنوع من الراحة النفسية في ممارسة الهواية، ومن خلال الساعات التسع التي قضاها المحقق في قراءة رواية الفسيفسائي استطاع أن يربط بين النص الروائي وجريمة وقعت منذ ســـنتين ببلدة زرهون، لكاتبة أمريكية ماتت اختناقًا بغاز الســـخان، وقيدت ضـــد مجهول، حيث جاءت الجريمة بوصـــف دقيق مثلت حلًّا للغز الذي حير المحققين فترة طويلة من الزمن، وفي نفس الوقت كان مدخلًا مشـــوقًا للنص الروائي، في إيهامه للمتلقي بأن هذه الرواية بوليســـية؛ ليتفاجأ المتلقي بأنها تتضـــمن بداخلها عدة روايات رومانسية واجتماعية وتاريخية وواقعية وسياسية، تتشابك معًا في نسيج روائي متقن؛ لتمرر رســـائل الحضـــور والغياب لقضـــايا تاريخية، واجتماعية وواقعية، ورومانســـية وسياسية، عبر المزج بين الواقعية والخيال الروائي.

٢- المدينة :

" كان موقع وليلي الأثري يســـتولي على المشـــهد، قوس النصـــر وأعمدة الكابيتول وبقايا أبنية حجرية أخرى ترتدي زيًّا رومانيًّا عتيقًا وتنتصـــب بمهابة ليلتقط لها الزمن صورة تذكارية مع خلفية السهل الخضراء"(١)

شـهدت مدينة وليلي المغربية أغلب أحداث النص الروائي لرواية الفسيفسـائي، وهي قطعة الفسيفساء المركزية الكبرى التي يرص الكاتب فيها قطع الفسيفساء المتناثرة حولها

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٤..

في نصه الروائي ؛ لتظهر الصورة الكاملة للمتلقي في متعة فنية، حيث شهدت المدينة المليئة بالآثار والفسيفساء أغلب الأحداث، ففيها يقف تمثال باخوس الأثري النادر، الذي يتعرض للسرقة من قبل مافيا تهريب الآثار في ثمانينات القرن الماضي، فهي من أهم المحطات المكانية للمزج بين التاريخ والرومانسية، حيث اتخذ منها الروائي مكانًا لكتابة رواية داخل الرواية هي رواية " ليالي وليلي" التي تكتبها أريادنا نويل علي لسان جواد الأطلسي.

" كانت مدينة وليلي هناك تحتنا، نطل عليها من موقع كوخنا في سطح الجبل المشرف على السهل شيدت حولها أماكن متفرقة، ضيعات وأكواخ عملاقة يسكنها المزارعون والمستأجرون أمثالنا"(١)

فالكاتب بعرضه لهذا المكان يستحضر فترة من فترات احتلال الرومان لهذا المكان الأثري، حيث جعل الرومان مدينة وليلي حاضرة رومانية، محاطة بسور يسكنها أهل الطبقة الأرستقراطية الحاكمة، قدماء المحاربين الرومان والمستوطنون والتجار والمرابون وقلة من السكان الموريين، بينما يعيش الفلاحون خارج أسوار المدينة، في ضواحيها، كون النظرة إليهم نظرة انحطاطية، لذا لم يبلغهم تقدم مدينة وليلي ورقيها، كونهم سكانًا لا مواطنين، وهي نظرة منطقية من محتل لأبناء البلدة الأصليين.

" هل كان مصادفة أن يقذف به تعيين الوظيفة الماكر إلى ذلك السهل الوسيع ليجاور موقعًا أثريًّا مفخخًا بالتاريخ... يرمي العين صوب السهل الفسيح بحثًا عن موقع وليلي الأثري، فتلوح له المدينة القديمة رافده هناك بأطلالها وأبوابها المفتوحة على زمن بعيد"(٢)

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٣٦.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٢.

الموقع الأثري هنا يمثل وحدة أساسية من وحدات النص الروائي، حيث يقوم بدور محوري في إظهار توجيهات الكاتب في الرواية، وهو مُلهِم للشخصيات في كثير من أحاديثها، كما أن هذا المكان بأثريته يثير في الشخصيات مشاعر الانفعال والخيال، ببنيته العميقة والسطحية.

كما أن هذا المشهد المهيب يستدعي ذكريات البطولة والتضحية للسكان المحليين، ويعود بزمن السرد للوراء ليستدعي الكاتب ويستحضر من خلاله أحداثًا مؤلمة ومؤثرة في سير أحداث النص الروائي.

" إنها لوحة فسيفسائية كبيرة ممتدة تسكن هذا السهل الذي كرت عليه حوافر خيول الرومان الغازية، وتفصد على ترابه عرق الموريين وسالت دماؤهم"(١)

" خرج ليتنسم هواء الليل البارد المعبق برائحة أشجار الزيتون ورائحة الزمن المندلعة من الموقع الأثري المجاور"(٢)

فالمكان هنا يمثل فضاءات شاعرية تلهم الشخصية العديد من الفكر والخيال، وهو ما انعكس على جواد الأطلسي، وأخرجه من حالة الحيرة ليبدأ سرد روايته " الفتى الموري".

" نشأت في هذا السهل المترع بأشجار الزيتون، أرعى قطيعًا من الأغنام في هذه الحقول المترامية الأطراف، أجلس تحت ظلال زيتونة وارفة وأمضي أعزف على ناي قصبي صنعته يداي"(٣)

كما أن الأثر الرومي ما يزال مؤثرًا في السكان الأصليين من مظاهر الخوف، والتعرض للسوء خاصة بالليل الذي يخشونه كخشية شبح الموت.

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٧٨.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٩.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٣٤.

" عندما يغيب القمر عن سماء وليلي تظل أزقتها وشوارعها مظلمة، فيربض الوليليون في تلك الليالي الحالكة خلف أبوابهم الموصدة؛ لأنهم يخشون أن يتعرضوا لسوء في الظلام الحالك"(١)

٣- الفرن:

استثمر الكاتب عبر لغته، ومساره السردي التضاد بين عنصري الحركة والصمت في فتح المكان المغلق، بتنامي عبارات معينة تتكشف في النص الروائي، حين تأتي العبارات لكسر عنصر الحركة في مكان يعج بالحركة؛ ليتحول المكان المغلق إلى مكان مفتوح عبر شكل من أشكال الانفتاح العاطفي، في رواية أيدمون الفتي الموري وسيلينا الفتاة الرومية.

"رفعت عيني إلى المدخل العريض حيث يقف الزبائن في انتظار دورهم لتسليم الخبز، فرأيتها، إلهي من أين للروميات هذا الجمال الساحق القاسي المعذب الرهيب**!؟**" (٢)

" ما إن وقعت عيناي عليها حتى عبرت أضلعي ارتجافه، وصمتت أصوات الزبائن في باحة المخبز، وتوقفت ألواح العجن الدوارة عن خلط الطحين المبلول، وانكتم هدير اللهب في قلب الفرن، كأنه انتقل بلظاه إلى قلبي"(٣)

فعبارات- " صمتت أصوات الزبائن"

- " توقفت ألواح العجين"
- " انكتم هديراللهب"

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٥٥-٢٥٦.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٤٣.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٤٣.

كان لها دور فعال في كسر عنصر الحركة في مكان يعج بالحركة؛ ليحرك هذا الصمت حركة عاطفية تمثل انفتاحًا لمشاعر داخلية في مسار سرد الشخصية، في حركة مروحية تبادلية.

٤- الضريح:

يستثمر الكاتب البنيات المكانية التراثية في دلالتها العميقة والسطحية، لتضفي على الشخصية نوع من الراحة النفسية عند اللجوء إليها، ويبدو ذلك في لجوء تهامي الإسماعيلي، الذي لقب بباخوس- إله الخمر عند اليونان- من كثرة شربه لها بعد أن تحولت حياته إلى جحيم عقب دهسه لابنه الصغير بعربته بطريق الخطأ وهو يخرجها من مكانها أسفل المنزل، كما أنه كان يمارس علاقات غير شرعية، مما أثر في نفسيته وجعله يلجأ إلى العلاج النفسي عند الطبيبة النفسية نوال الهناوي.

" ألا تعلمون أن مدير المدرسة يذهب إلى ضريح مولاى إدريس(أحد أحفاد الإمام علي بن أبي طالب) بزرهون وهناك يبكي ويتكلم بمفرده!؟" (١)

كما أن الممر المفضي لأماكن الأولياء وأضرحتهم يفصل بين نمطين من أنماط الوجود كما وصفه بعض النقاد" الوجود الديني والوجود الدنيوي، لذا كانت العتبة تضع حدًا للتمهيد بين الوجودين، أو هي تلك القنطرة الموصلة بين فضائيين"(٢)

"كان الممر المفضي إلى الضريح ينضح بطاقة مغناطيسية دفعتني دفعًا إلى التقدم أمامًا، انحنيت أنا أيضًا تحت العارضة شيء ما جذبني إلى الداخل غير الشيخ المهيب: مزيج من الفضول والأمل الواعد بالراحة والشفاء من كآبتي المقيمة"(٣)

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٦٦.

(٢) معجب العدواني, تشكيل المكان وظلال العتبات, سابق ,ص٨

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٦٩.

وهو المكان الذي يضفي على الشخصية طاقة روحية، من شأنها جعل الشخصية تشعر بالأمان والراحة صحبة هذا المكان، الذي يعدّ من الرموز ذوي الكرامة المتوارثة شفهيًّا عبر الأجيال المتعاقبة.

" أرخيت جسدي مستندًا إلى خشب الضريح، وغرقت في نوم عميق خالٍ من الكوابيس، لم يوقظني أحد، نمت حتى طلوع الفجر"(١)

الأماكن المفتوحة متاحة لجميع الشخصيات في النص الروائي، بما تحمله من إمكانية تحرك الشخصيات فيه بحرية مطلقة، ومعظم هذه الأماكن أماكن عامة يرتادها الكثير من الشخصيات وهي بدورها من مكونات النص الروائي، بما تحمله من وصف لحالات نفسية واجتماعية كثيرة، ومدى انفتاحها أو انغلاقها يعود لحالة الشخصية الاجتماعية والنفسية، كما وصفها أحد النقاد.

" مدى انفتاحها يعود للحالة النفسية والشعورية والتجربة الحياتية للشخصية الروائية، فتراه حينًا لا نهائي، وتراه حينًا آخر مغلقًا، فهي التي تسبغ عليه لونه فتجعل البيت سجنًا والسجن بيتًا، فتشكيل الأمكنة نابع من الإحساس بها، وينعكس بدوره على النظرة إليها"(٢)

ب-**الأماكن المنغلقة في الرواية:**

١- **البيت.**

ظهر البيت هنا في الرواية كمكان دارت فيه أغلب الأحداث وأسهم في المسار السردي في ربط الروايات المتداخلة بعضها ببعض، إنه بيت السائحة الأمريكية لينا تومبان من بوسطن الأمريكية، والتي كانت تعشق الفسيفساء، وارتبطت عاطفيًّا

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٧٢.

(٢) عمر شطه,أنسنة المكان في رواية ذاكرة الماء, سابق , ص١٩.

بتهامي الإسماعيلي، وهو ما ذكر في رواية الكاتبة الأمريكية أريادنا في روايتها عن جواد الأطلسي.

" جواد قال إن حارس المدرسة جبيلو هو المسئول عن بيت الأمريكية، وسمع من سعاد أم أيمن أن مدير المدرسة تهامي، المعلم السابق كان عشيق الأمريكية فتركت له مفاتيحه عندما أزمعت الرحيل إلى بلدها، وهناك من يقول: إن لينا كتبت البيت باسمه"(١)

لنجد عبر المسار السردي للروايات المتداخلة أن هذا المكان كان مخطط ليقيم جواد الأطلسي فيه ؛ ليشبع رغبة تهامي الكاتب المغمور، والذي توقف عن الكتابة لعجزه عن لملمة خيوط العمل الروائي .

" كل ما أخبرتني به لينا تومبان أن بالقرية المتاخمة للموقع الأثري شابًا يعرف المكان الذي توجد به فسيفساء مفقودة منتزعة من الموقع الأثري، فسيفساء شبيهة بتلك التي أريتها إياها على حاسوبي المحمول"(٢)

كان تهامي بحاجة إلى مساعدة كاتب متميز يكتب بحرفيه، فكان الكاتب الواعد جواد الأطلسي الذي قرأ له تهامي بعضًا من رواياته فظل اسمه وعنوانه عالقَين في ذاكرته، وصادف أن يأتي للمدرسة في التعيينات الجديدة.

أوصى تهامي عامل المدرسة جبيلو أن يرشده للبيت العتيق القريب من المدرسة ليقيم فيه، ويكتب رواية الفتى الموري، ليتم سرقتها بسهولة منه، ومن ناحية أخرى يرشدهم على مكان الجزء المكمل للوحة الأثرية الموجودة في اللوفر.

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٣٥.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٣٦.

" بيت تقليدي مكناسي المزاج، يغطي الزليج البلدي أرضيته ويتسلق جدرانه حتى المنتصف، ركنت المكتب في زاوية غرفة النوم الفسيحة ورتبت فوقه أوراقي ودفاتري"(١)

وهو مكان يشعر فيه قاطنه براحة نفسية تمكنه من ممارسة هوايته.

" هنا في هذا البيت التقليدي ذي الطابع المكناسي، استأنفت رحلة الكتابة"(٢)

كما يوجد بالمكان مكان آخر تحت سرير وفي غرفة نوم جواد يحوي جزءًا مهمًّا من لوحة فسيفسائية أثرية مكملة للوحة التي توجد في اللوفر، ففسيفساء غرفة جواد تمثل الجزء الأوسط المكمل لفسيفساء اللوفر، مع القطعة الثالثة .

ظهر ذلك عندما أراد جواد أن يغسل الأرضية من رائحة السجائر الممزوجة برائحة الرطوبة، ويخرج الأغطية لتنال قسطًا من أشعة الشمس الخريفية.

" عندما رفعت حصير الدوم عن الأرضية علقت عيناي بصفوف الزخارف، فانكشف أمامي إطار زخرفي يحيط بمشهد مثير جدًا: مشهد فسيفساء بديعة، لا يعقل أن ينام هذا الإبداع تحت حصير غرفة نومي دون أن أراه" (٣)

" كيف أمضيت أكثر من شهرين هنا دون أن أكتشف هذه السمراء التي تنام بجانبي كل ليلة، تطلعت إلى جنبات الفسيفساء وفي أسفلها تبينت نقشًا يضم ثمانية أحرف كالآتي:VICERUNT" (٤)

" وأنا أتملى لوحة الفسيفساء، نفذت رائحة ما إلى خيشومي، رائحة لها مكان غائم في ذاكرتي، أريج له مكان في القلب بالأحرى، أيتها الفسيفساء الخرساء، لو

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٤٣.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٩٦..

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٧٩.

(٤) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق,ص٨٠..

تدعين هذه السمراء الحاملة لتقاسيم جميلات الأمازيغ الموريين، لو تدعينها تخرج من إسار الحصيات المكعبة إلى الواقع" (١)

فالكاتب جعل من تداخل الأماكن، وربط الحلم بالواقع، في رؤية جواد للسمراء عند بوابة وليلي الشمالية وسيلة فنية لربط عناصر السرد المختلفة ببعضها البعض، حيث صار جواد يعرف مكانَ جزءٍ مهم من لوحة فسيفساء أثرية، بها يكتمل التابلوه الأثري للوحة فسيفساء اللوفر المسروقة، التي تجسد مشهد اغتيال محارب رومي لقائد روماني أمام دهشة امرأة سمراء.

إن تتبع النص الروائي للأماكن المختلفة، وربط حركتها بحركة وأفعال الشخصيات المختلفة في النص الروائي، يومئ للمتلقي بأحداث وأفعال واقعية كانت هي المرجع الرئيس في كتابة النص الروائي" الفسيفسائي".

" اللوحة الفسيفسائية ترجع إلى القرن الثاني، كما يؤكد جزؤها الموجود باللوفر، فقد تنبأ صانعها بتغلب الموريين على الرومان، وبذلك تنبأ بانتهاء الوجود الروماني بموريتانيا الطنجية قبل حدوثه!" (٢)

" إنها تشبه فسيفساء المحارب الموري باللوفر كل شيء، لقد سرقوها من الموقع الأثري وزرعوها في أرضية هذا البيت، إن اللوحتين المتشابهتين تكمل إحداهما الأخرى" (٣)

إن تداخل الأمكنة المختلفة الفرعية داخل المكان المركزي، وربط المتلقي فيما بينهما، يسهم في ربط الخيوط السردية التي تبدو متناثرة في كل مكان، ففي رواية "الفتى الموري"، وهي الرواية التي كتبها جواد الأطلسي، وروتها الكاتبة أريادنا في

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٨٠.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٣٥٠.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٣١-٢٣٢.

روايتها عن جواد الأطلســـي، يطلب الموري المدعو ســـبالوس من أيدمون فني الفسيفساء الموري، أن يصور له بلغة المكعبات مشهد انتصاره الرمزي على ظلم الرومان، فكانت هذه اللوحة البديعة.

وهنا يبدو التطابق العجيب بين لوحة فســـيفســـائية تحتاج إلى ترتيب قطعها بحرفية عالية، وبين قطع روائية فنية تحتاج إلى متلقٍ واعٍ لترتيب أحداثها وربطها ببعض؛ ليكتمل المشهد وما وراء المشهد.

٢ – العيادة.

عيادة الطبيبة النفســـية نوال الهناوي والتي انطلقت منها كتابة الرواية الثانية داخل الرواية، وهي مذكرات نوال الهناوي " باخوس في العيادة"

" ٢٧ شارع ابن سيناء، حي المنزه، مكناس، على العمارة ألواح معدنية مثبتة على يمين البوابة، لوحة زجاجية وردية أنيقة قرأ عليها اســـم الدكتورة نوال الهناوي الغانمي، طبيبة الأمراض النفسية والعصبية"(١)

كما أن بالعيادة مجســمًا لتمثال باخوس الأثري في هيئة تمثال خشــبي، اقتنته الطبيبة من معرض التحف بالموقع الأثري وليلي.

والعيادة كمكان يستقبل الكثير من الشخصيات مختلفة الأهواء ومتنوعة الأدوار، فقد يأتي للعيادة أحد الأغنياء ليمثل دور المريض النفسي.

" واحد من الأغنياء الذين أتعبتهم الوحدة وغربتهم العزلة، فما وجد منصــتًا أمينًا إلى هذيان فتوحاتهم وتراجيديات إخفاقاتهم، لذا اختاروا أن يدفعوا كي يحظوا بأذن تتقن الإنصات لهم"(٢)

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, صص٥٢.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٥٤.

وفي لجوء معظم شـــخصـــيات النص الروائي للعيادة النفســـية، كونها المكان المناسب للخروج من معظم حالات الاضطراب النفسي، وغيرها من مشاعر الوحدة، والشـعور بتأنيب الضـمير، فالمكان بخلفيته الذهنية يلقي بتأثيره على الشـخصـيات التي ترتاده، لكن الكاتب جعل من هذا المكان ليس فقط وسيلة لعلاج المرضي؛ بل لعلاج الطبيبة نفسها والانتقال بها من حالة الشعور بالوحد والحرمان العاطفي، إلى حالة إشباع الرغبة المكبوتة.

ففي علاقة شـخصـية تهامي بالطبيبة نوال، بأناقته ولبسـه المتناسـق وصـدره المفتوح بعشبه الكثيف كسلاح ، يحرك فيها المرأة مشاعر داخلية مكبوتة لأسباب معينة، جعل من اللقاءات داخل العيادة امتدادًا لها خارج العيادة في أماكن أخرى غير العيادة، مثل المقهى والمنزل .

الطبيبة النفسـية نوال الهناوي تهامي تضـع في عيادتها مجسـمًا لتمثال باخوس، تقع عينَا تهامي عليه فيتذكر عربدته، فهو عاشـــق لنبات الكروم لدرجة أن أصـــدقاءه أطلقوا عليه هذا اللقب "باخوس"، فينســـي أنه مريض، ودخل العيادة للخروج من الجو النفســـي إبان قتله لابنه الطفل الصـــغير، وهو يحاول الخروج بعربته من مكانها بطريق الخطأ .

لجأ تهامي للطبيبة النفسـية نوال الهناوي التي أُعجب بصـوتها وهي تتحدث عبر الإذاعة المحلية قبل أن يراها ويتحدث معها وإليها، فعادت إليه هوايته المفضـــلة بمجرد أن رأى تألقها ووســـامتها، ليحاول الإيقاع بها، مســـتخدمًا أدواته الجســـمية والكلامية، وتحريك ما بداخلها من غرائز مكبونة؛ ليتحول الطبيب إلى مريض، والمريض إلى طبيب، في حركة سردية استلهمت أماكن متعددة، بخلفياتها وإيحائاتها :

" تمتم تهامي وهو يلقي نظرة سـريعة على محتويات الغرفة، ويحاول أن يعيش حجم التناغم بين ديكورها وهيئة هذه المرأة الأربعينية المتألقة في بياض بذلتها

الناصـع، حاول أيضًـا أن يطبع في مخيلته معالم الغرفة، فكل قطعة من أسـاسـها ستكون شاهد على بوح ماراطوني يخص به هذه الطبيبة"(١)

" ألا ترين أن الجلسـات العلاجية من الأفضـل لها أن تكون في فضـاءات عمومية مثل هذا المقهى، لا بين جدران عيادة تذكر الداخل إليها بأنه مريض؟"(٢)

يصـل تهامي لمبتغاه، في اللقاء الحميمي في بالبيت، ليقوم بنسـخ مذكرات الطبية من حاسـوبها، ومسـح الملف منه بعد أن تأكد من نسـخه، ليمثل القطعة الثانية من فسيفساء الرواية التي يحاول تجميعها، بعد أن سرق رواية الفتى الموري من منزل جواد الأطلسي، ليتبقى لديه رواية أرديانا عن جواد الأطلسي.

ومع دمج الروايات الثلاثة تظهر اللوحة الفسـيفسـائية الكلامية، لتعانق اللوحة الفسـيفسـائية الأثرية بقطعها الثلاث، في اللوفر، وفي منزل جواد الأطلسـي، وفي المنطقة الأثرية.

فيحدث تعانق بين سرقة الإرث الحضاري وسرقة الإبداع الكلامي، وهي رسالة تصل للمتلقي عبر التشابكات والخيوط السردية ، للأماكن الأثرية وغيرها المنتشرة في الرواية.

حيث المكان المركزي للنص الروائي مدينة وليلي الأثرية، والتي تحتضـن تلك الأحداث في واقعيتها المرجعية لكاتب النص الروائي.

٣- السجن

برزت شخصية عياش كأداة من أدوات الكاتب في نصه الروائي؛ ليبرز من خلالها، القهر والظلم الذي يتعرض له الضـعفاء من ناحية، ومن أخرى أدوات القمع ووسـائله المتعددة لدى ذوي السلطة القهرية.

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٥٤.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٧٩.

عياش حارس المنطقة الأثرية التي تحوي التمثال الرخامي النادر" باخوس" الذي يعدّ من أنفس التحف المغربية، والقابع في موقع وليلي، والذي تم سرقته.

السرقة التي أغضبت الملك الحسن الثاني، ودفعت بأجهزة الأمن والدرك إلى اعتقال أهالي فرطاسة وتعذيبهم في محاولة يائسة للوصول إلى سارق باخوس.

وهو الأمر الذي دفع بأجهزة الأمن لاعتقال الحارس" عياش" والزَّجُّ به في السجن لمدة عشر سنوات لاتهامه بالتعاون مع سارق التمثال باخوس، حيث كان واحدًا من الحراس الثلاث القائمين على حراسة الموقع الأثري.

ففي مذكرات نوال الهناوي الطبيبة النفسية وفي العيادة الخاصة بها والتي تقع بمنطقة "مكناس" تصف الحالة التي وصل إليها عياش وهو يصف الحيز المتمثل في زنزانته داخل المكان الكبير(السجن) الذي قضى فيه معظم وقته.

" علبة ضيقة طولها أربعة أمتار وعرضها متران ونصف إنها علبة مظلمة يتسلل إليها بالنهار نور شاحب، بالباب نافذة صغيرة يطل منها على العنبر الصامت"(١)

هنا يجد المتلقي نفسه في منطقة يمكن أن يقال عليها منطقة الصمت، صمت المتحدث، ليكمل المتلقي الحوار من خلال الخيال والفكر" هنا يعني قراءة المعنى بين السطور وليس في السطور ذاتها "(٢) دلالة المكان هنا بتشكيله وتوظيفه، يوحي بمدى التأثير النفسي على لشخصية، ومدى انعكاس ذلك على تعاملها مع المجتمع والأسرة، ومدى تقبلها للحياة بعد ذلك.

" في المعتقل إحساس بالخوف، والظلم، وتوقع الأذى من الآخرين"(٣)

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٧٢.

(٢) عبد العزيز حمودة, المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك, عالم المعرفة, الكويت, ابريل١٩٩٨م, عدد ٢٣٢, ص٢٠٩.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٤٩.

يبدو تأثير المكان هنا في مسار الشخصية، التي جعلته يعي بحدة الاضطرابات التي أصابته من جراء هذه السنوات الطويلة، حيث دخل في حالة من الاكتئاب، فصار يتجنب الحديث مع الناس ويرتاب منهم وينزوي وحده، حتى صارت مشاعره متبلدة وضاق عليه المنزل، تارة يتحدث مع نفسه بصوت مسموع وأخرى يجمع الحجارة، ويعدّ السيارات العابرة في الطريق وأعمدة الإنارة.

مما اضطره للجوء للعيادة النفسية لمحاولة فك هذا الاضطراب.

" بدأت حفلة التعذيب، أكرموا جسدي الهزيل بالسوط ولسعات الكهرباء، وعندما جاوز التعذيب الحد الذي يمكن أن أتحمله "اعترفت" لهم، اعترفت بماذا يا عياش؟ نسجت قصة كاذبة اسعفتني بها مخيلتي لأنجو بجلدي الذي ألهبته السياط"(١)

" إن الزمن في السجن ليس هو الزمن الذي اعتدناه خارجه، فهو يمضي ثقيلًا ببطء قاتل، إذ لا يحسب بالأيام والأسابيع بل بالساعة، بالدقيقة والثانية، هناك يبدو الزمن متوقفًا كما لو أن العالم لا يزال في عصر قديم"(٢)

نقش عدد ليالي السجن الطويلة على الجدران

مما جعل الطبيبة نوال الهناوي تشخص الحالة، وتعطيه نصائح عشرا كوصفة علاجية، وتشخيص نهائي لحالته."

١- امكث فترة في المنزل مع ابنك وأَحبّ أقرباءك دون الحديث عن تجربة الاعتقال.

٢- قم بمهام بسيطة في البيت كإعداد الطعام، وترتيب بعض الأغراض.

٣- زر أفراد عائلتك من وقت لآخر.

٤- احرص على توفير الراحة والاطمئنان لنفسك.

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٧٣.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٧٣

٥- تناول طعامك بانتظام.

٦- تجول في الأماكن الخضراء للتنفيس عنك.

٧- قم بعمل ما تقدر عليه.

٨- قم بأنشطة روحانية كالصلاة مثلًا.

٩- تناول بانتظام دواء الاكتئاب الذي وصفته لك.

١٠- زرني إذا ما عاودتك نوبات عصبية أو قلق حاد.

وعندما غادر عياش الحفيان العيادة بدقائق، نظرت إلى موقع تمثال باخوس الخشبي الذي اقتنيته من معرض التحف، لم يكن هناك فوق المكتب لقد اختفى"(١)

اختلاف المكان لم يمنع عياش من سرقة التمثال الخشبي باخوس كرمز للتمثال الحقيقي الذي سرق واتهم هو بسرقته.

الكاتب هنا يلجأ إلى تقنية الفلاش باك في السرد، لتستحضر الشخصية كل عذابات السنين التي قضاها ظلمًا في غياهب المعتقل، فنحاول الشخصية أن تدخل بصيصًا من الرضا النفسي بقيامها بسرقة التمثال الخشبي باخوس من عيادة الطبية النفسية نوال الهناوي، بعد أن يأخذ روشتته العلاجية، والتي ينقصها هذا الرمز.

ظهرت في الرواية الانكسارات الزمنية نحو الماضي، والتي تعتمد في توليدها على تكرار بعض الجمل السردية، في بداية كل فصل ذلك في القطع الروائية داخل الرواية الأصلية.

فالربط بين الأحداث، والاسترجاعات كانت في أغلبها داخلية- تعود إلى زمن يلي اللحظة الأولي في السرد؛ لأن السارد بدأ من نقطة زمنية بعيدة للغاية في السرد، وهي

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٧٦.

حل لغز مقتل السائحة الأمريكية، والتي رصد من خلالها علاقة الشخصيات المتتابعة بهذا الحدث.

ج- ثنائية الانفتاح والانغلاق للأماكن المختلفة في الرواية:

الأماكن المختلفة تضـــيق وتتســـع بأبعادها الرمزية والمعرفية والدلالية للمكان، وحسب الحالة النفسية وما يحيط بالشخصيات الروائية من أحاسيس متنوعة، وحسب الظروف والمواقف المتنوعة التي تتعرض لها هذه الشخصيات.

كما وصفها أحد النقاد.

" مدى انفتاحها يعود للحالة النفســية والشــعورية والتجربة الحياتية للشــخصــية الروائية، فتراه حينًا لا نهائيا، وتراه حينًا آخر مغلقًا، فهي التي تســبغ عليه لونه فتجعل البيت سجنًا والسجن بيتًا، فتشكيل الأمكنة نابع من الإحساس بها، وينعكس بدوره على النظرة إليها"(١)

والمبدع يستطيع من خلال الأبعاد الرمزية والدلالية للأماكن المختلفة أن يمرر رسائل الحضور والغياب للقضايا، التي يحاول عرضها وتسليط الضوء عليها ومعالجتها عبر المزج بين الخيال الروائي والحقيقة الواقعية في نصه الروائي.

وهو ما ظهر في النص الروائي من خلال تشـــكيل هذه الأماكن، وتوظيفها، حيث أسهمت في بناء الشكل الروائي وإنتاج الدلالة للمتلقي.

د- أمكنة ذات أثر ضعيف:

١- المدرسة:

ظهرت في الرواية أماكن ذات أثر ضعيف في مسار السرد الروائي منها المدرسة والمقبرة، حيث أشار إليهما الكاتب في مواضع بسيطة، بالرغم من أن هذه الأماكن لها

---

(١) عمر شطه, أنسنة المكان في رواية ذاكرة الماء, سابق , ص١٩.

أبعاد دلالية، يمكن أن تؤثر في مسار السرد، لكنها جاءت كأماكن مهملة في الرواية، فلم نجد إلا إشارات لها، بالرغم من أن أهم الشخصيات في الرواية كانت تعمل بها.

فقد كان تهامي الإسماعيلي مديرًا لها، وجبيلو عاملًا فيها، وجواد الأطلسي انتقل إليها ليعمل بها، ومن خلال الذهاب إليها تعرف جواد بالمهدي عامل الصيانة في الموقع الأثري، والذي دلَّ جوادًا وأريادنا بإغراء مالي إلى الجزء الثالث المفقود من لوحة الفسيفساء التاريخية، وهو الجزء المكمل لها.

- جزء في متحف اللوفر.
- جزء في غرفة نوم جواد .
- والجزء الثالث في الموقع الأثري.

"لما أكون متجهًا إلى المدرسة يكون هو نازلًا من فرطاسة إلى الموقع ، فنلتقي"[١]

المبحث الثالث: الأبعاد الدلالية للمكان المركزي والأماكن الملحقة به" التشكيل والتوظيف"

منح المكان بمكوناته المختلفة وظلاله الملموسة، وأبعاده وما أحاط بشخصيات النص الروائي البحث القدرة على تناول الأبعاد المختلفة له، فالمكان" حاملًا لمعنى ولحقيقة أبعد من حقيقته الملموسة". (٢)

والبعد المكاني قد يتجلى في صور شتى، منها البعد الهندسي، والبعد النفسي، والبعد السياسي، والبعد الاجتماعي والبعد الجغرافي، والبعد الرمزي، والبعد الواقعي،

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢١٣.

(٢) سيزا قاسم, بناء الرواية, دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ٢٠٠٤م,ص١٠٤.

والبعد المادي الطبيعي، والبعد الحضاري، والبعد الفلسفي، والبعد الصوفي، والبعد التاريخي، والبعد الخيالي والبعد الأسطوري"(١)

والبحث من خلال تتبعه لهذه المسارات يحاول التركيز –غير المخل– على أبرز هذه الأبعاد، التي سيتناولها.

١– البعد الهندسي:

وهو البعد المكاني الذي يتم تحديده من خلال وصف أبعاد المكان الهندسية كالطول والعرض والارتفاع وغيرها(٢)

ففي وصف عياش غرفته داخل السجن للطبيبة النفسية نوال الهناوي، نجده يصف أبعاد المكان، بصورة مقتضبة.

" علبة ضيقة طولها أربعة أمتار وعرضها متران ونصف إنها علبة مظلمة يتسلل إليها بالنهار نور شاحب، بالباب نافذة صغيرة يطل منها على العنبر الصامت"(٣)

ويأتي تهامي ليصف عيادة الطبيبة النفسية، كبناية خارجية ومقتنيات داخلية بأبعاد هندسية.في مذكرات نوال الهناوي " باخوس في العيادة"

---

(١) للمزيد انظر عتاب عادل ,الخطاب الروائي في دفاتر التدوين لجمال الغيطاني, سابق, فاطمة الزهراء بن يحيي, المكان داخل النص الروائي, الدلالة الأنماط الأ بعاد, مجلة الحكمة للدراسات الأدبية, مؤسسة كنوز الحكمة, الجزائر, العدد الأول السداسي الأول ,٢٠١٣م, سعيد موسى عمر, أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالاته في رواية مرسى فاطمة, المجلة الإلكترونية الشاملة, العدد الواحد والأربعون , شهر ١٠, ٢٠٢١م

(٢) للمزيد انظر جماليات المكان , غاستون باشلار, ت : الناقد الأردني غالب هلسا, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر,١٩٨٧م, صالح ولعة , المكان ودلالاته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف, عالم الكتب الحديثة, إربد,الأردن,٢٠١٠م..

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٧٢.

" ٢٧ شارع ابن سيناء، حي المنزه، مكناس، على العمارة ألواح معدنية مثبتة على يمين البوابة، لوحة زجاجية وردية أنيقة قرأ عليها اســـم الدكتورة نوال الهناوي الغانمي، طبيبة الأمراض النفسية والعصبية"(١)

كما أن بالعيادة مجســمًا لتمثال باخوس الأثري في هيئة تمثال خشــبي، اقتنته الطبيبة من معرض التحف بالموقع الأثري وليلي.

كما نجد جواد الأطلسي في رواية ليالي وليلي يصف المنزل الذي استأجره ليقيم فيه ويستأنف أعمال الكتابة .

" بيت تقليدي مكناســي المزاج، يغطي الزليج البلدي أرضــيته ويتســلق جدرانه حتى المنتصــف، ركنت المكتب في زاوية غرفة النوم الفســيحة ورتبت فوقه أوراقي ودفاتري"(٢)

وفي قياس الأبعاد المكانية للوحة الفسيفسائية الأثرية القابعة في غرفة نوم جواد الأطلسي.

" أخذ شــريط قياس متري يقيس أبعاد اللوحة، دون احتســاب الإطار الزخرفي الذي بدأ جليًّا أنه حديث الصنع كانت أبعادها كالآتي: ١٤٠سم على ٨٦سم، وهي نفس قياس فسيفساء الصورة في الحاسوب، التي التقطت بمتحف اللوفر بباريس"(٣)

" كان موقع وليلي الأثري يستولي على المشهد: قوس النصر وأعمدة الكابيتول وبقايا أبنية حجرية أخرى ترتدي زيًّا رومانيًّا عتيقًا وتنتصــب بمهابة ليلتقط لها الزمن صورة تذكارية مع خلفية السهل الأخضر"(٤)

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٥٢.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٤٣.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق,ص١٩٦.

(٤) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق,ص١٤.

فالرواية تناولت المكان المركزي مدينة وليلي الأثرية بأبعاده الهندسية المختلفة، كما تناولت معظم الأماكن المنغلقة والمفتوحة التي تدور في فلك المكان المركزي من هذه الزاوية الهندسية، والتي تمثل البنية السطحية للمكان .

وهي تمهد للدخول للبنية العميقة من حيث التأثير والدلالة، والتي من شأنها في الغالب دمج المتلقي في المكان واستحضار الصورة البصرية له، عند اختراق الشخصيات وبداية تفاعلها معه وفق التحولات النفسية، وهي محاولة لتهيئة المتلقي ذهنيًا لما سيقع من أحداث.

لكنها أغفلت الأبعاد الهندسية في بعض الأماكن مثل المقهى، والمدرسة، والضريح.

٢ – البعد النفسي:

يدور هذا البعد النفسي للمكان حول ما يعتري الشخصية من مشاعر متباينة إزاء الأماكن المختلفة من قبول أو نفور أو رغبة في عمل شيء ما في المكان؛ لإثارته مشاعر معينة في نفس الشخصية، فالأبعاد النفسية تتخذ أكثر من صورة في الرواية، والبحث يحاول من خلال عرض بعض الشواهد أن يربط دلالة البعد النفسي بإيحاء المكان.

هناك مشاهد في الرواية تحتاج لأكثر من حاسة لإدراكها

" أخذ يخطو خطوات في الباحة الأمامية التي امتلأت بالحشائش وأوراق الأوكاليبتوس وأغصان الزيتون اليابسة صار بمحاذاة الحوش وهو يمرر أصابع يده اليسرى على سياجه القصبي وقف على مقربة من البيت والتفت جنوبًا لينظر حيث ينظر البيت، أمامه يمتد

مشهد السهل الأخضر بلا نهاية وطرق متشعبة بين الحقول نحتتها الأرجل وقوائم الدواب كان موقع وليلي الأثري يستولى على المشهد"(١)

" إن العامل النفسي وحده يستطيع بما يتمتع به من حرية مطلقة أن يستحضر عدة أمكنة في مشهد واحد ويستخدم أكثر من حاسة لإدراك هذا المشهد المختلفة ألوانه"(٢)

يظهر هنا ما يمكن رؤيته بالعين كالطرق والسهل الأخضر والحقول، وما يحتاج لتفعيل الحواس كافة، فالصورة تحتوي على أكثر من مكان، هناك السهل الأخضر ما يمكن إدراكه بالعين وهناك الطرق المتشعبة التي نحتتها الأرجل، وهناك ما يمكن إدراكه بحاسة الشم لاستشعار المشهد، كرائحة الحشائش، وحاسة السمع قوائم الدواب، واللمس حين يمرر أصابعه على السياج، فإعمال الحواس المختلفة في المشهد وفي معظم مشاهد الرواية، من شأنه إدراك ما للمكان من أصداء، تنعكس نفسيًا بالإيجاب ، فتجعل الشخص يتعلق أكثر بالمكان.

٣- البنية السطحية والبنية العميقة للمكان:

هناك أماكن ظهرت في الرواية ببعدين مختلفين، بعد سطحي ظاهري، وبعد عميق داخلي، فالبيت الذي يعطي دلالات الراحة والسكينة والاستقرار، يتحول إلى مكان اغتراب، بما يبوح به من دلالات ، حين يفتقد التواصل النفسي والاجتماعي في المكان، وهو ما ظهر في الرواية حين فقد تهامي ابنه بالخطأ وهو يحاول الخروج بعربته؛ ليتفاجأ به تحت عجلات العربة.

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق,ص١٤.

(٢) عتاب عادل, الخطاب الروائي في دفاتر التدوين لجمال الغيطاني , سابق , ص١٢٢.

" أجد كل شيء في البيت مهملًا مبعثرًا ولا سيما أشياء سامي ومتعلقاته في زوايا غرفة المعيشة وغرفة النوم، كانت لعبه وملابسه مرمية ومبعثرة في أرجاء الغرفة، في الحوش، في محيط البيت، حيثما جُلت فثَمَّ وجهه يطالعني"(١)

بينما على العكس من ذلك يأتي ضريح الأولياء الصالحين ليلقي بظلال الأمان والراحة النفسية لمريديه، بما يحيط بهذا المكان من روحانيات عالية، فالنفوس مهيأة له قبل أن تصل إليه.

وهو المكان الذي يضفي على الشخصية طاقة روحية، من شأنها جعل الشخصية تشعر بالأمان والراحة صحبة هذا المكان، الذي يعدُّ من الرموز ذوي الكرامة المتوارثة شفهيًّا عبر الأجيال المتعاقبة.

" أرخيت جسدي مستندًا إلى خشب الضريح، وغرقت في نوم عميق خالٍ من الكوابيس، لم يوقظني أحد، نمت حتى طلوع الفجر"(٢)

وهناك أماكن ظهرت في الرواية كان لها تأثير في تحول مسار الشخصيات، كشخصية عياش الذي سُجن ظلمًا وما تعرض له، وتأثير ذلك على الحالة النفسية له.

" إن الزمن في السجن ليس هو الزمن الذي اعتدناه خارجه، فهو يمضي ثقيلًا ببطء قاتل، إذ لا يحسب بالأيام والأسابيع بل بالساعة، بالدقيقة والثانية، هناك يبدو الزمن متوقفًا كما لو أن العالم لا يزال في عصر قديم"(٣)

" في المعتقل إحساس بالخوف، والظلم، وتوقع الأذى من الآخرين"(٤)

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق,ص٦١.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٧٢.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٧٣

(٤) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٤٩.

وهو ما انعكس على الشخصية في وصفها وتصرفاتها، حيث دخل في حالة من الاكتئاب، فصار يتجنب الحديث مع الناس ويرتاب منهم وينزوي وحده، حتى صارت مشاعره متبلدة وضاق عليه المنزل، تارة يتحدث مع نفسه بصوت مسموع وأخرى يجمع الحجارة، ويعدُّ السيارات العابرة في الطريق وأعمدة الإنارة.

مما اضطره الشخصية للجوء للعيادة النفسية؛ لمحاولة فك هذا الاضطراب، الأمر الذي انتهي به إلى سرقة تمثال باخوس الخشبي الرمزي من عيادة الدكتورة نوال الهناوي، في محاولة لإرضاء وإشباع نفسيته للسرقة التي لم يقم بها وسُجن لسنوات ظلمًا بسببها.

" وعندما غادر عياش الحفيان العيادة بدقائق، نظرت إلى موقع تمثال باخوس الخشبي الذي اقتنيته من معرض التحف، لم يكن هناك فوق المكتب لقد اختفى"(١)

فالأثر النفسي من المكان واضح، حين يذكر هذا النموذج الخشبي الشخصية بالنموذج الحقيقي المسروق، فيجلب للشخصية من الذاكرة رحلة الشقاء وسنوات السجن العشرة التي قضاها ظلمًا، وهنا يتبدى العامل النفسي ليس فقط في تذكر سنوات العذاب بل في الطريقة التي صارت الشخصية تتعامل بها مع الأشياء حولها.

٤- البعد الاجتماعي:

يمثل البيت كمكان يرمز للأمن الاجتماعي والاستقرار والرسوخ، أهمية بالغة في تماسك العناصر السردية وسيرها في العمل الروائي.

لكنه أحيانًا يصبح عاملَ سلبٍ تنتفي معه هذه القيم والصفات، وهو ما ظهر في رواية "ليالي وليلي" في البيت الذي يقطنه جواد الأطلسي، والذي أصبح مكانًا لممارسة

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٧٦.

الرزيلة، ومذكرات الطبيبة نوال الهناوي على لسان تهامي، حين أصبح البيت عاملَ طردٍ ومكانًا لا يطاق بعد حادث مقتل ابنه ودخول زوجته في حالة صدمة جعلتها بلا وعي؛ ليحيي في الشخصية غريزة ممارسة الرزيلة.

كذلك في رواية الفتى الموري والفتاة الرومية سيلينا، حين دعته لبيتها في أوقات يغيب فيها رب المنزل، للتمتع بأوقات المتعة .

الكاتب جعل من المكان ملجأ تفر منه الشخصية تارة، وإليه أخرى، وقد أسهم هذا التصور في إغناء وتقدم الوعي بالظاهرة الاجتماعية لدى المتلقي "الكتابة والإبداع يساهم، ولو بطريقة غير ثابتة دومًا، في تشكيل واستعادة وعينا بالواقع بأشكاله المتعددة، وإن اعتمد هذا التأويل على بعض المكتسبات النظرية دون الحاجة لإذن من أحد"(١)

عنما رأى جواد الأطلسي– الذي كان يدرس لابنها أيمن– أم أيمن للمرة الأولى– والتي غاب عنها زوجها لمدة ثمانية أشهر– جذبت انتباهه وحاول الإيقاع بها في شباكه عن طريق ابنها أيمن حين كانت تنتظره بعد الانتهاء من دروسه في المدرسة؛ ليعودا معًا إلى لبيت، توطدت المعرفة وصار أم أيمن ترسل له البيض وبعض أنواع الطعام مع أيمن، وتدرجت العلاقة حتى صارت هي نفسها تأخذ الطعام وتذهب به إلى حيث يقطن.

" ذكرتني حركتها تلك بامرأة الفسيفساء فخاطبتها: وأنت على ذاك الوضع تذكريني بامرأة سمراء، امرأة جميلة توجد معنا في هذا البيت." (٢) يقصد المرأة التي تسكن لوحة الفسيفساء، وهو ما أدخل أم أيمن في حالة الاسترجاع لذكريات ماضية مؤلمة Flash back المعروفة في فنيات العمل الروائي .

---

(١) مجموعة من الكتاب, ت رضـــوان ظاظا, مدخل إلى مناهج النقد الأدبي, عالم المعرفة, , الكويت, عدد٢٢١, مايو١٩٩٧م, ص١٩٦.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٢٩.

" رأيتها (تقصد اللوحة) قبل سنوات عندما كنت أنظف هذه الغرفة، أرسلتني أمي عند المعلم السيء تهامي، تقصدين المدير تهامي، كان يسكن في هذا البيت ؟!"(١)

" أخذني المعلم تهامي ونعسني على المرأة السمراء، ونعس هو فوقي وعندما نهض كانت هناك بقعة حمراء بين ساقي المرأة السمراء المرسومة على أرضية الفسيفساء"(٢)

كما حدث ذلك مع الطبيبة النفسية نوال الهناوي، التي هجرها أيضًا زوجها لأوقات طويلة منشغلًا بعملة في مكناس.

" تلون فمه وذقنه بأحمر شفاهي الزهري، فضحك شيء بداخلي سعيدًا بهذه الأختام الزهرية التي وقعتها شفتاي على صفحة وجه اشتهيته مذ رأيته أول مرة، ثم امتد اللون الزهري من الذقن إلى العنق ليختفي في النهاية عند تخوم الصدر المعشوشب"(٣)

" كانت سكرة اللقاء الأول تدير دواليب اللحظة التي وقفنا شاهدين بأنفاس محتدمة على عبورها الباذخ، أسندني برفق إلى بياض السرير وشرع يعزف بأنامله على مواطن وجعي."(٤)

نلاحظ أن الكاتب في استحضاره للبيت في نصوص الرواية المختلفة، أحدث انفصامًا مروعًا وبُعدًا عن القيم الريفية الأصيلة، وهو ما يمكن أن يحال إلى تأثر الكاتب بجيل العظماء من كتاب الرواية كمحفوظ وغيره، ممن وضعوا سلوكيات للشخصيات في إبداعاتهم الروائية أقرب في تصرفاتها إلى ردود أفعال الشخصية الغربية، عند تعرضها لمشكلة ما.

---

(١) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٣٠.

(٢) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص١٣٢.

(٣) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٨٣.

(٤) عيسى ناصري, الفسيفسائي, سابق, ص٢٨٣.

تلجأ إلى الخمور والبارات، وممارسة الرزيلة في تصرفات غير مبررة عند التعرض لمشكلة، وهو ما ظهر في الرواية من علاقات "الفتى الموري" بسيلينا الرومية في رواية " الفتى الموري"، و"جواد الأطلسي" بـ "أريادنا الأمريكية"، وأيضًا علاقة" تهامي الإسماعيلي" بها واستدراجها للرذيلة بعد شربها المفرط للخمر ودخولها في نوبة لا وعي، وسرقة الرواية من حاسبها الشخصي قبل أن يمسحها ويرتكب جرمه ويمضي.

مثل هذه التصرفات يمكن أن تكون مقبولة في مسار شخصيات سياحية تأتي من بلاد مختلفة للمتعة بجميع أنواعها، لكن ذلك المسار السردي للشخصيات الريفية الأصيلة التي تفعل مثل هذه التصرفات، يعدُّ تحولًا غير مبرر، لمسار الشخصية في سلوكيات أصيلة.

واستحضار الكاتب للمآسي الاجتماعية على هذا النحو أفرغ الشخصية من قيمها الاجتماعية الأصيلة والمتوارثة، والتي من المفترض أن ترتفع بالمستوى الاجتماعي للشخصية، لا أن تجعل الشخصية سلبية، تستسلم لأقل الرياح، لتمثل أنها لا تقوى على الصمود فتقتل الطاقة الإيجابية الفعالة فيها.

الخاتمة

جاءت رواية "الفسيفسائي"، متضمنة أسلوبًا سرديًّا متميزًا يميل إلى التجريب في الشكل الروائي ،حاملًا معه عنصري الجذب والتشويق.

استطاع المبدع من خلال التشكل والتوظيف للأماكن المختلفة في الرواية أن يطرح رؤيته للمتلقي في رحلة سردية، عبرت بالمتلقي حدود الزمن الحالي، عبر أمكنة ومواقع أثرية متميزة، أسهمت في الدلالات العميقة للنص الروائي، وتضافرت مع العناصر السردية الأخرى، لتكون معًا انفتاحًا دلاليًّا للفضاءات الجمالة للرواية.

اعتمد الكاتب على التشكيل الفني في تجاور ثلاث حكايات وتداخلها، لكل منها عنوان وحلقات متسلسلة، تعيش في كل مرة جوّ رواية يقطعها الكاتب ليبدأ رواية أخرى، تتقاطع الحكايات وتتشابك، وعليك أن ترصها مرة أخرى كقطعة فسيفساء؛ لترى

الصـــورة كاملة، من هنا برز الدور الرئيس للمكان من خلال توظيفه؛ لإعادة إنتاج الصورة ورؤيتها بوضوح.

اعتمد الكاتب في ذلك على تقنية التقطيع والتوليف مما هو معتمد في بناء الشـريط السـينمائي، عبر تكسـير الزمن وتوزيعه بين أزمنة عدة ماض بعيد وحاضـر ومسـتقبل؛ يجمعها كلها مكان مركزي واحد هو المغرب "مدينة وليلي" الأثرية، المليئة بالآثار والفسيفساء المغربية.

تدور في فلكها بقية المواقع بظلالها وإيحاءاتها المختلفة، ودورها الفعال في حركة السرد للرواية، وهو ما يتطابق مع فن الفسيفساء القائم على نظام بصري يحتاج إلى دقة في الرؤية؛ ليكتشف المركز للوحة والملاحق، التي سرعان ما تتحول هي نفسها إلى مركز له ملاحق، وهو الانطباع نفسه للمتلقي الذي يتنقل بين النص الروائي، وبين أصـوات الرواة، في روايات ثلاثة، يكتشـف أنها تحوي رواية رابعة، وعند الإمعان فيها يكتشـف أن بها رواية خامسـة هي رواية الكاتب نفسـه، التي ظهرت أنها منتشـرة عبر خيوط الروايات الأربعة المتضمنة في النص الروائي.

الكاتب من خلال نصـه الروائي وتوظيف الأماكن الأثرية، يدق ناقوس الخطر، للحفاظ على هذه الموروثات، عبر فنه الروائي، وعرض وتجسـيد أهم الإشـكاليات في المجتمعات الفقيرة، والمتمثلة في مدى قدرة هذه المجتمعات على الحفاظ على هويتها الحضارية وإرثها الثقافي، والتغلب على عوامل القهر والجهل والفقر.

والبحث من خلال تتبع المكان المركزي والأماكن الفرعية ودورها في المسـار السـردي للرواية، وتأثيرها الفعال في الحدث الروائي حاول رصـد جماليات هذا التأثير المباشر وغير المباشر لهذه الأماكن، والوصول لنتائج يمكن إجمالها كالآتي:

- اسـتطاع الكاتب عبر تقنية التقطيع والتوليف مما هو معتمد في بناء الشـريط السـينمائي، وعبر تكسـير الزمن وتوزيعه بين أزمنة، وجمعها كلها مكان مركزي واحد، أن يغير في بناء الشكل الروائي، ويجعله أكثر إثارة لجذب انتباه المتلقي.

- استثمر الكاتب عبر لغته، ومساره السردي التضاد بين عنصري الحركة والصمت في فتح المكان المغلق، بتنامي عبارات معينة تتكشف في النص الروائي، حين تأتي العبارات لكسر عنصر الحركة في مكان يعج بالحركة؛ ليتحول المكان المغلق إلى مكان مفتوح عبر شكل من أشكال الانفتاح العاطفي، في رواية أيدمون الفتي الموري وسيلينا الفتاة الرومية.
- تفاعل المكان ومزجه بشخصية المبدع أثر في بناء الرواية، فالمبدع على مساحة من المكان أنشأ مبنى حكائيًا، على مساحة من الورق بلغة وكلمات وشخصيات متنوعة، مزجت بينه وبين المكان وشخصيات العمل الروائي، في تلاعب بالشكل الروائي وإرسال مضامين للمتلقي، حيث حققت تخيلًا مبدئيًا لفضاء النص غير أن معاينة النص كسرت هذا الأفق.
- العتبات المكانية بداية من العنوان ولوحة الغلاف والهوامش والتصدير، والأبعاد الدلالية للأماكن المنغلقة والمفتوحة، بتأثيراتها المختلفة، أسهمت بدور فعال في عمق الدلالة ونقلت المكان من الخصوصية إلى العمومية بتفاعلاتها وعلاقاتها التكاملية .
- سرت في عروق المكان لغة كاشفة، عبر المسار السردي للرواية؛ جسدت نفرة الكاتب من السرقات الممنهجة للإرث الحضاري، كما ربط بينها وبين السرقات الأدبية .
- فرض المكان شخصيته على العمل الروائي بتأثيره في صنع الشخصيات والمسار السردي، بصورة تفوق العناصر السردية الأخرى في الرواية.
- بإدخال المبدع للمكان المركزي والأماكن التي تدور حوله ومحاورته لها، جعلها مشاركة في معاناته.
- استطاع الكاتب باختياره للأماكن المناسبة للحدث الروائي ربط هذه الأماكن بالشخصيات المختلفة، جعل المتلقي يشارك في النص الروائي وتفكيكه وتأويل الصورة التي يحتملها.

- تكشف الرواية عبر المكان المركزي والأمكنة الرئيسة فيها، والتي تضرب في عمق التاريخ، الكثير من القضـايا الاجتماعية والسـياسـية عبر المزج بين الخيال الروائي والحقيقة الواقعية .
- يميل المبدع إلى التجريب الروائي، في الشـــكل من خلال الحكايات المتقطعة، والمزج بين الرواية التاريخية والرومانسية والبوليسية والواقعية في بوتقة واحدة، يمزج فيها الشخصية المكان؛ ليجمعها معًا، في محاولة لتعميم القضية.
- ارتبط المكان بعناصر الرواية؛ فاكتسبت الشخصيات أهميتها من خلال حركته التي يمارسها عليهم.

- استحضار الكاتب للمآسي الاجتماعية في الرواية من خلال جريمة القتل، والجنس المتغلغلة في نسيج الروايات الأربعة، وحدوث ذلك في مكان تواجد أهم القطع الأثرية، أفرغت الشخصية من قيمها الاجتماعية الأصيلة والمتوارثة، التي من المفترض أن ترتفع بالمستوى الاجتماعي للشخصية، لا أن تجعل الشخصية سلبية، تستسلم لأقل الرياح، لتمثل أنها لا تقوى على الصمود فتقتل الطاقة الإيجابية الفعالة فيها.
- معايشـــة المكان بأثريته وظلاله، مع ثقافة الكاتب نقل خصـــوصـــية المكان إلى العمومية؛ ليشـكل الضـمير المعلن، القادر على المصـارحة والتصـريح بلغة فنية ممتعة، تجاه مشهد الصمت الذي يخيم على الكثير من النخبة المثقفة، في مجابهة قضايا أمه.
- أســـهمت التقنيات الفنية المتعددة كالاســـتدعاء والاســـترجاع والمنولوج الداخلي والفجوات الدرامية للشـــخصـــية والشـــكل التجريبي في الرواية، والتي اعتمد عليها الكاتب في في كسر حالة الرتابة والملل، التي قد تصيب المتلقي عند قراءة الرواية.
- اسـتطاع الكاتب أن يتنقل بين الماضـي والحاضـر والمسـتقبل، في حركة سـردية ترددية مروحية ،أدخلت المتلقي في حالة من الإثارة والتشـــويق والتفاعل؛ لمعرفة الأحداث.

- أغفل الكاتب أماكن ذات أثر قوي وجعلها أماكن ذات أثر ضـــعيف كالمدرســـة والضريح، وهوما كشفت عنه الأحداث.
- كشـفت البنية السـردية للرواية، تدخل الكاتب في كثير من الروايات داخل الرواية، وأحيانًا التوحد مع بعض الشـخصـيات كتوحده مع شـخصـية جواد الأطلسـي، الذي يمثل في الواقع شـخصـية ناصـر العيسـي كما جاء في الرواية، وهو نفسـه المؤلف الحقيقي للرواية عيســى ناصــري. كما ظهرت في نهاية الرواية الأســماء الحقيقية للأبطال، ليربط الكاتب بين المرجعية الواقعية والخيال الروائي.
- يقترح البحث تناول أعمال الكاتب عيسى ناصري الأخرى، لما يتمتع به الكاتب من ثقافة واسعة وعمق في التناول.

المصادر والمراجع

اولاً: المصادر

١. عيسى ناصري، الفسيفسائي، منشورات مسيكلياني، تونس ، ط١، ٢٠٢٣م.

ثانياً: المراجع

١. خالد حسين، في نظرية العنوان، دار التكوين، دمشق، ط١ ، ٢٠٠٧م.

٢. رشيد العناني، المعنى المراوغ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط١ ،١٩٩٣م.

٣. سامي عبد العزيز العجلان، إغواء العتبة، مؤسسة الانتشار العربي، ط١ ، ٢٠١٥م.

٤. سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٤م.

٥. صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مهرجان القراءة للجميع٢٠٠٣م، مكتبة الأسرة، مصر، سلسلة الأعمال الفكرية.

٦. عبد الرحمن الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، دراسة دلالية، المكتب الجامعي الحديث، ط١ ،٢٠١٠م.

٧. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، ابريل١٩٩٨م، عدد ٢٣٢.

٨. عتاب عادل، الخطاب الروائي في دفاتر التدوين لجمال الغيطاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨م، ط١.

٩. عصام واصل، في تحليل الخطاب الشعري دراسة سيميائية، دار التنوير، الجزائر، ط١ ،٢٠١٣م .

١٠. محمد جبريل، مصر المكان دراسة في القصة والرواية، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

١١. محمد برادة، أسئلة الرواية أسئلة النقد، شركة الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ، ١٩٩٦م.

١٢. معجب العدواني، تشكيل المكان وظلال العتبات، نادي جدة الأدبي، ط١ ،٢٠٠٣م.

مراجع مترجمة:

١. جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ت، عبد الجليل الأزدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٧م .

٢. رينيه ويلك، أوستن وارن: نظرية الأدب، ت عادل سلامه، دار المريخ،١٩٩١م.

٣. غاستون باشلار، جماليات المكان، ت غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط٢ ،١٩٨٤.

٤. غالب هلسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن هاني، ١٩٨٩م.– محمد برادة، أسئلة الرواية أسئلة النقد، شركة الرابطة، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ، ١٩٩٦م.
٥. مجموعة من الكتاب، ت رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، عالم المعرفة، ، الكويت، عدد٢٢١، مايو١٩٩٧م.
٦. ميخائيل بأختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ت، يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا،١٩٩٠م.

دوريات ومجلات:

١. أبو الفضل رضائي، مجلة اللغة العربية وآدابها، سنه١٤،العدد٤، شتاء ١٤٤٠هـ.
٢. عمر شطه، أنسنة المكان في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، مجلة اشكالات في اللغة والأدب،مجلد١٠، عدد٤، سنة٢٠٢١م.
٣. محمود الهميسي، براعة الاستهلال في صناعة العنوان، مجلة الموقف الأدبي، س٢٧،عدد٣١٣،آيار،١٩٩٧م.

Spatial Maneuvering in the Novel "The Mosaic" by Moroccan Novelist Issa Nasiri: "Formation and Employment" from Vision to Meaning

Dr. Saber Akasha Qala'i Ali
Department of Arabic Language and Literature،Lecturer
Arish University، Faculty of Arts

Abstract:

This research attempts to highlight the aesthetic، artistic and creative features of the place in the novel “Mosaic” by the Moroccan novelist Issa Nasri، through the spatial evasion between the creator and the place through the formation and employment to produce the meaning by tracking the different places in the novel text، and their effective role in building the novel. And its relationship to the different thresholds in it، which contributed with the other narrative elements in analyzing the text and decoding its codes، through critical pursuits that attempt to capture the narrative meaning، by tracing the literary effect of the different places through the formation and artistic employment of them to produce meaning. ...and then reproducing the narrative text، highlighting its aesthetic and artistic features، by tracing these paths.

The narrative text in question is distinguished by a striking spatial presence that influences the course of the narrative events in fascinating ways، on the one hand، and، on the other hand، its contribution to the artistic plot of the narrative text، as the novel is characterized by the disintegration of time periods. When the narrator resorts to the technique of describing places، archaeological sites، and other things to disrupt the time taken by the events، there is one place around which revolve multiple places at different times، which contributed to the connection of the artistic elements of the novel in a striking way. Approaching the novel from this perspective can contribute to highlighting aesthetic and artistic features and reproducing the narrative text. Novelist Issa Nasiri innovates in his use of spatial techniques، with visual and functional

maneuvers that illuminate the path for the reader in producing meaning. His narrative text begins from the end، starting from the place and ending with it. The novel's events begin، in a tight circle from the end; to return to the beginning، in an experimental novelistic form that mixes words with ideas، in an interesting and attractive formulation، which at first glance appears to have scattered features like mosaic pieces، but the recipient soon places the scattered pieces in their appropriate places، and rearranges them to form the creative artistic painting in the recipient's mind، and the artistic message reaches him through the creative artistic form. We are faced with a novelistic text that discusses reality with an artistic، rational discussion، using the novelistic form، through a group of stories that are together contained in one exciting novel، that arouses in the recipient the instinct of artistic، enlightening، and educational exploratory pleasure، as the writer blends with the place and artistically eludes it، in a verbal mosaic painting، through which he raises issues that are difficult to directly address. Given the difficult living conditions in some countries، which attempt to stifle expression and impose strict control over creativity، this is a novelistic attempt to transform the recipient، through elements of suspense and excitement and through the various connotations of the places، into a positive person who identifies with the idea and contributes to the production of its meaning. Therefore، the novelist made his creative text a circle that connects the beginning of the novel to its end، in a circular، fan-shaped artistic movement، so that the recipient remains a participant and interacts with the events of the novel، interacting with them and through them. We are faced with an experimental novel with a realistic reference، which deals with the suffering of the self that carries the concerns of others. It is also characterised by a comprehensive vision of the issues that the writer broadcasts through it، using novelistic techniques، through a group of intertwined novels within one novelistic text، in suspense and excitement; to highlight his vision and carry its intellectual contents.

Keywords :Mosaic - Issa Nasseri - The Elusiveness of Place